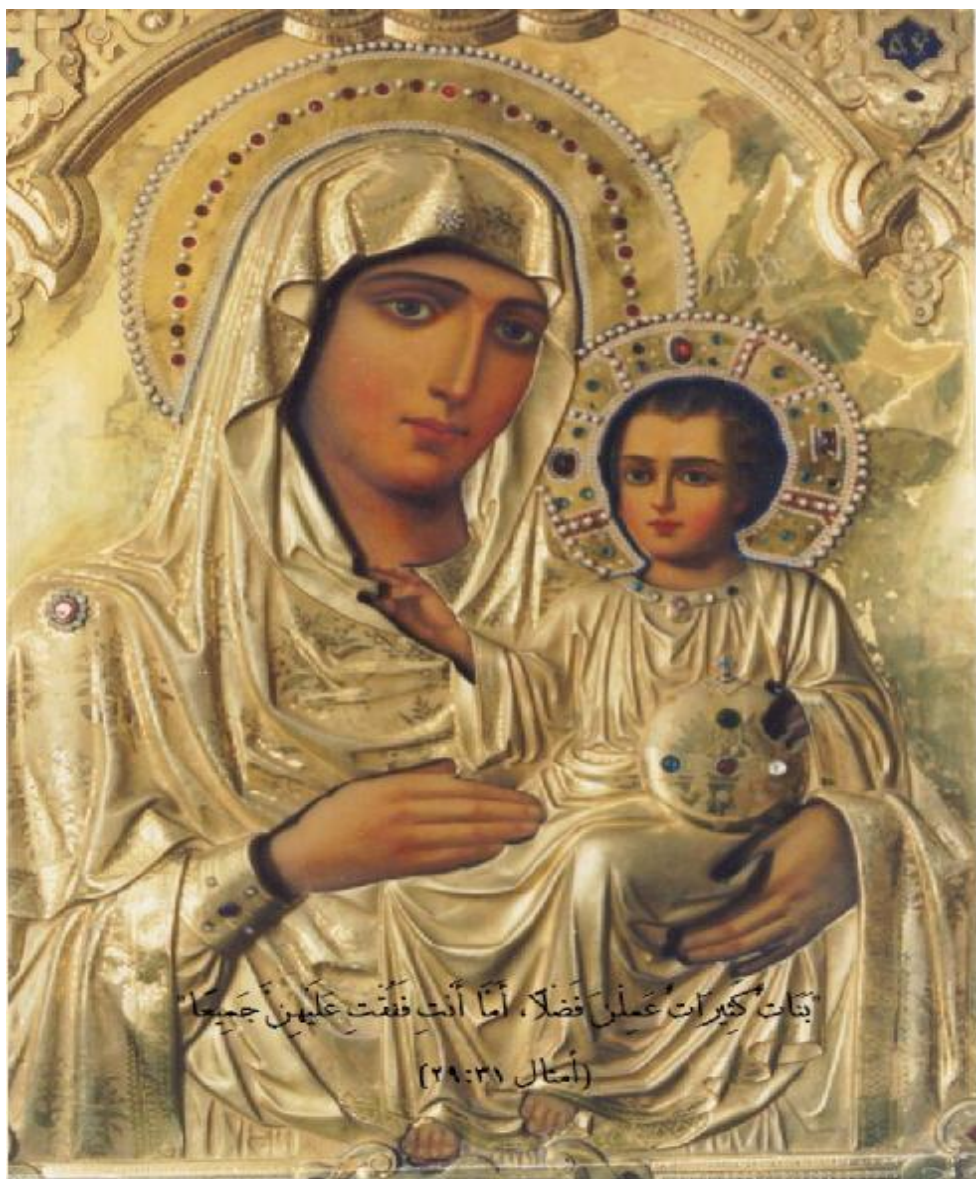


العذراء مريم في اللاهوت المقارن



تأليف خادم الإنجيل الدكتور علاء عيد



رقم: ٦٧٥

الابن الروحي العزيز الدكتور علاء عيد المحترم
الزرقاء/ الأردن

بعد مباركتكم أبوياً بربنا يسوع المسيح . . .

فقد تلقينا كتابكم المرسل إلينا بتاريخ ٢٤/٦/٢٠١١ والذي تطلبون فيه بركتنا وموافقتنا بهدف طباعة كتاب بعنوان مريم والدة الإله الدائمة البتولية في اللاهوت المقارن من تأليفكم .

إننا نبلغكم بموافقتنا على طبع هذا الكتاب ونبارك لكم هذا العمل الجليل ونطالب كافة أبناء رعيتنا بأن يقرأوا باهتمام هذه الكتب الروحية لكي يتمكنوا من إدراك عقيدة كنيستهم والتعرف على تراثها الروحي الأصيل .

وإننا نشيد بالجهود الجبارة التي تبذلونها ونأمل مواصلة هذه الجهود في حقل البشارة الإنجيلية والتعاليم الروحية، ونتمنى لكم دوام التوفيق في تأدية هذه الرسالة الروحية .

هذا مع مباركتنا اياكم أبوياً بربنا يسوع المسيح .

✙✙ Γεωργιος Γεωργίου

ثيوفيلوس الثالث

بطريرك المدينة المقدسة

القدس الشريف : ٢٤/٦/٢٠١١

إلى
العزيرة
أمي

النفس الصاعد والنازل في كياني



تقديم

نتشرف بتقديم هذا الموضوع لأبنائنا الأحباء بعدما نال على البركة الرسولية من غبطة بطريركنا المحبوب بطريرك أورشليم الجالس على كرسي يعقوب أخ الرب الساهر على كلمة الرب مفصلاً إياها بالحق والإستقامة كيرىوس كيرىوس ثيوفيلوس الثالث لتدوم بركاته علينا، ولسنين عديدة.

هذا الموضوع من أروع المواضيع، التي طالما كنّا مشدودين للبحث فيه، فوجد من كتب فأغنى وأشبع، فشكّل مائدة دسمة لكل مسيحي باحث عن الحق والكنوز الإلهية المجيدة.

تكلم كاتبنا فلم يبالغ، وفتح الباب ليعرفنا على حقيقة عذراء الله التي قيل فيها كصورة الكنيسة العذراء "أُخْتِي الْعَرُوسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ، عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ، يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ" (نش ٩: ٤-١٢) وقيل عنها "... جُعِلَتِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ بِذَهَبٍ أَوْفِرٍ" (مز ٩: ٤). أشبع الموضوع بحثاً مجرداً ولم يستطع إلا أن يظهر أرثوذكسيته العريقة ولكنه كان في بحثه غواصاً ماهراً لكشف المدارس الأخرى منصفاً ومظهراً الحق دون أن يغالي وكاشفاً للآراء والعقائد المتضاربة دون تهجم فكان المشرّح دون أن يجرح. منصفاً حواء الجديدة أم الإله المراءة الذي صار منها آدم الجديد ليؤلّه الطبيعة البشرية القابلة للإله المتأنس، وتاركاً عتياً بمحبة على الأخوة الذي ما لبث البعض منهم يتناول على ذوي الأجماد ويجرحوهم، يحزنون ويزيدون حزناً لمن قيل بها "وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكَ سَيْفٌ، لِتُعْلَنَ أَفْكَارُ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ" (لو ٣٥: ٢). ليبارك الرب تعب محبتك يا دكتور علاء، وجمعيتكم جمعية العائلة المسيحية، إذ تقوم بطباعة انتاجكم هذا منتظرة الجديد من عملكم لتغني العائلة المسيحية وتنير شمعة تلو الشمعة في طريقها الروحي مع الله والناس، تبارك لكم الجمعية الرسولية وتبارك لكل القراء باكورة انتاجكم.

تقديم: الأب يعقوب مضاعين

نشر وتوزيع مجاني

جمعية العائلة المسيحية

christianfamilyjo@gmail.com

P.O.BOX (3305) AMMAN 11110 JORDAN

TELL: 079 708 0046 / 077 751 5787

الفهرس

الصفحة	
٧	مقدمة
٨	مدخل
٩	ميلاد العذراء
١٢	العذراء في اللاهوت المقارن
١٢	- العذراء في الفكر الأرثوذكسي
١٦	- العذراء في الفكر الكاثوليكي
٢٠	- العذراء في الفكر البروتستانتي
٢٢	العذراء في اللاهوت العقائدي
٢٢	- والدة الإله (أم) أم يسوع
٢٣	بحسب الكتاب المقدس
٢٤	بحسب التاريخ
٢٥	بحسب الآباء
٢٧	بحسب الليتورجيا
٢٩	- دائمة البتولية (أم) فقدت بتوليتها
٣٠	لم يعرفها حتى
٣٢	قبل أن يجتمعا
٣٣	ابنها البكر
٣٥	عبارة امرأتك
٣٧	عبارة اخوته
٤٩	- عقيدة الحبل بلا دنس ورفضها أرثوذكسياً
٥٨	- صعود العذراء إلى السماء بعد رقادها (أم) دون رقاد

٥٩	رأي البروتستانت
٦٢	رأي الكاثوليك
٦٣	رأي الأرثوذكس
٦٤	- هل للعدراء شفاعَة (أم) لا شفاعَة لها
٧٦	ألقاب العدراء مريم
٧٦	- ألقابها من حيث عظمتها وصلتها بالله
٧٧	- ألقابها ورموزها من حيث أمومتها للسيد المسيح
٨١	لماذا يجب أن نكرم العدراء
٨٥	حوار حول العدراء
٨٨	النظريات الثلاثة
٨٨	- النظر لها كأقنوم رابع
٩٤	- التقليل غير اللائق
١٠٢	- الإكرام الفائق
١٠٥	صلاة
١٠٧	الخاتمة
١١٠	المراجع

مقدمة

ربما هناك الكثير من الكتب التي تكلمت عن العذراء مريم وقامت بشرح الكثير من الأمور المختصة والمتعلقة بها، ولكن إن قمنا بقراءة بعض هذه الكتب فسنجد آراءً وأفكاراً مختلفة عن العذراء قد تصل أحياناً إلى التناقض! فيا ترى ما السبب؟

إنه بكل بساطة انتماء الكاتب إلى فكر معين فإمّا أن يكون أرثوذكسي أو كاثوليكي أو بروتستانتي، وللأسف نجد أن كثيرين يتعلقون بانتماءاتهم الفكرية أكثر من تعلّقهم بالحقيقة، لذلك إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف كتب عن العذراء مريم، رأيت أنا أيضاً أن أكتب عن هذه الشخصية العظيمة والمطوّبة الذكر بالأمور المتّينة عندنا، ليس عن تعصّب وليس بحسب انتماء فكري وإنما بحسب الشواهد التي يمتلكها كل إنسان صادق باحث عن الحق، وسأسعى لطرح كل الأفكار الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية بكل شفافية وصدق، مع استبيان سمو الفكر الأرثوذكسي اتجاه العذراء مريم بحسب ما ستوضحه هذه الدراسة.

أقدّم هذا البحث إلى كل إنسان مسيحي مهما كانت طائفته أو انتمائه الفكري، ليطالع ويعاين نظرة المسيحيين الأوائل للعذراء وكيف كان يعتقد بالأمور المختصة بها منذ فجر المسيحية الأول.

وأتمنى أن يكون هذا الكتاب سبب بركة لكثيرين وأوّلهم أنا الخاطيء الغير مستحق أن أكتب عن الطوباوية أم النور مريم.

وأسأل الآب القدير أن يبارك هذا العمل بقوة روحه القدوس بالمسيح يسوع. آمين

مدخل

إذا أردنا التكلم عن مريم العذراء والقيام بدراسة تستوفي حق هذه الشخصية العظيمة فيجب أن نتطرق إلى هذا المدخل الذي لا بد منه...

فإن التقيت اليوم ببعض المسيحيين وأنصت إلى حوارهم حول العذراء فستسمع أحدهم يقول: إن شخصية والدة الإله عظيمة، فيرد عليه آخر نعم لقد كانت شخصيتها عظيمة، ولكن استمحي عذراً فهي أم يسوع وليست والدة الإله، فيتدخل آخر ويقول أحقاً تؤمنون بشفاعتها؟ ويقول قائل هي أعظم من الملائكة حتى! فيغضب هذا القول آخر فيقول لكننا نعلم أن الملائكة أعلى قدراً من البشر أم أن مريم ليست بشراً؟.

هنا ينكشف جلياً أن موضوع العذراء مريم هو موضوع شائك جداً وتتناقض حوله الآراء مراراً وتكراراً في هذه الأيام ليس من غير المسيحيين، بل من المسيحيين أنفسهم!.

فهل كان موضوع العذراء مريم مختلف عليه بين مسيحيي القرون الأولى كما هو حاصل اليوم؟ أم كان ينظر إليها بمنظور واحد من قبل الجميع؟.

وماذا كانت تمثل العذراء مريم للمسيحيين الأولين؟ وللإجابة على ذلك قمت بكتابة هذا الكتاب، ومن خلاله أود طرح العذراء مريم تحت مجهر اللاهوت المقارن واللاهوت العقائدي المختص بها لدى كل الكنائس (الأرثوذكسية - الكاثوليكية - البروتستانتية) ومناقشة هذه الأفكار بحسب الكتاب المقدس والجامع المسكونية والآباء القديسين (تحديداً مسيحيي القرون الأولى) لنعرف كيف كان يؤمن بها المسيحيون الأوائل وما التغيير الذي طرأ حول الإيمان والمعتقد الخاص بمريم العذراء اليوم.

ميلاد العذراء

كثيراً في السابق ما تناولت سيرة العذراء القيل والقال في الأمور المتعلقة بها فما يطرح حديثاً قد طرح قديماً بصورة مشابهة ولكن الشكر للرب الذي لم تخلو كنيسة أبداً من رجال قديسين كانوا أهلاً لحمل راية المسيح عالياً والرد على كل فكر غريب هاجم وما زال يهاجم الكنيسة حتى اليوم، وقبل البدء بموضوعنا هذا أود الحديث عن ميلاد العذراء مريم بحسب سنكسار الكنيسة^(١).

فقد ولدت العذراء القديسة مريم من أبوين قديسين متعبدين لله، سالكين في جميع وصايا الرب بتقوى ومخافة وورع.

أما والدها فيدعى (يواقيم) ومعناه بالعبرانية "يهوه يقيم"، وأما أمها فتسمى (حنة) ومعناه بالعبرانية "حنان"، وكانت (حنة) امرأة فاضلة وعفيفة وطاهرة، اشتهرت في زمانها بالتقوى والإحشام، وكانت تعيش مع زوجها البار يواقيم في هدوء وسلام، غير أنه كان ينغصهما أنه م يكن لهما ولد يحمل اسمهما، وقد كان العقم في ذلك الوقت عاراً، وكان الناس يعيرون المرأة العاقر بأنها ملعونة ومغضوب عليها من السماء. ولعلّ هذا هو ما قصدت إليه أليصابات عندما حملت بالقديس يوحنا المعمدان بقولها "هَكَذَا قَدْ فَعَلَ بِي الرَّبُّ فِي الْآيَامِ الَّتِي فِيهَا نَظَرْتُ إِلَيْ، لِيَنْزِعَ عَارِي بَيْنَ النَّاسِ" (لو ١: ٢٥).

وما عبّرت عنه حنة أم النبي صموئيل، إذ كانت هي الأخرى عاقراً، وقد عبّرتها بذلك ضرّتها "فَصَلَّتْ إِلَى الرَّبِّ، وَبَكَتْ بُكَاءً، وَنَذَرَتْ نَذْراً وَقَالَتْ: «يَا رَبَّ الْجُنُودِ، إِنْ نَظَرْتُ نَظْراً إِلَى مَذَلَّةِ أَمْتِكَ، وَذَكَرْتَنِي وَلَمْ تَنْسَ أَمْتَكَ بَلْ أُعْطِيتْ أَمْتَكَ زَرْعَ بَشَرٍ، فَإِنِّي أُعْطِيهِ لِلرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ" (١ صم ١: ١٠-١١).

(١) السنكسار: كلمة أصلها اليوناني سيناكساريون ومعناها جامع أي جامع السير، ويجمع سير القديسين وتذكارات الأعياد والأصوام.

وظلّت (حنّة) عاقراً، ومَرَّ على زواجها عدد من السنين ولم ترزق نسلًا، فحزنت حزناً شديداً، وشرعت تصلّي إلى الله بحرارة ومرارة.

ويقول القديس أفرام السرياني (٣٠٦-٣٧٣م) في مقال له: «بينما كانت (حنّة) تندب نفسها في كل وقت قائلة: أي شيء تساوي حياتي من الدنيا، مع تجردي من الثمر؟ وهو ذا البهائم والطيور وكلّ المخلوقات ترزق نسلًا، أما أنا فلا أرزق، الويل لي أنا، وعظيم هو حزني وألم قلبي. أسألك أيها الإله الدائم وحده، الذي سمع صوت سارة زوجة أبينا ابراهيم، وأعطاهما إسحق بعد الكبر، وسمع لراحيل وأعطاهما يوسف وبنيامين... أن تسمع صوت دعائي، أنا المسكينة الخالية من النسل، وتعطيني زرعاً يسرّ به قلبي لأني صرت مرذولة بين أهلي وعشيرتي،



سيما بعلي (يواقيم) الحزين القلب كثيراً. وها أنا أنذر بين يديك يا إلهي أنّ النسل الذي تعطيني لا أدعه يمشي على الأرض حتى أقدمه لهيكلك المقدّس، وكانت القديسة (حنّة) تقول هذا الكلام وهي تبكي بكاءً مُراً، وفيما هي تصلي ظهر لها الملاك جبرائيل بنور سماوي، وقال لها: يا حنّة إنّ الله سمع لدعائك وصلواتك. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنة مباركة، وسيكون لها الطوبى في جميع الأجيال، وفي كل أقطار

المسكونة، ومنها يولد الخلاص من أسر إبليس، لآدم وذريته، فأجابت (حنّة) الملاك جبرائيل وقالت: حيّ هو الرب، لو أنّي رزقت بمولودة كما قلت لي، لسوف أقدمها قرباناً للرب الإله، لتخدمه كلّ أيام حياتها في هيكله المقدّس. وأما (يواقيم) زوج (حنّة) فكان قد ذهب إلى البريّة وبني لنفسه مظلة، وعكف صائماً مدّة أربعين يوماً يصلي إلى الله، فظهر له الملاك المبشّر جبرائيل وبشّره بأن امرأته (حنّة) ستحبل وتلد ابنة تدعوها (مريم) تقرّ عينيه وتسرّ قلبه ويحصل بسببها الفرح والسرور للعالم أجمع. فعاد إلى بيته وأخبر زوجته (حنّة) بالرؤيا فصدّقتها، وحدّثته

بما أعلمها به الملاك نفسه ففرحاً معاً فرحاً عظيماً، وقالوا: ليكن اسم الرب مُباركاً ثمّ أولمّا وليمة كبيرة، وقدّمَا لله قرايين الشكر لعزته» من مقال القديس أفرام السرياني.

وحبلت (حنّة) كقول الملاك، ثمّ بعد تسعة أشهر وضعت الطفلة المباركة وسمّتها (مريم)، وبرّت حنّة بوعدّها، ووقّت بنذرّها، فما إن بلغت مريم العذراء الثالثة من عمرها (وهي بالعادة مدة الرضاعة) حتى حملتها إلى الهيكل لتكون خادمة للرب في بيته.

وكانت الأم (حنّة) تزور ابنتها من وقت إلى آخر تحمل إليها هداياها من طعام ولباس إلى أن بلغت العذراء الثامنة من عمرها فتوقّيت أمّها، وكان الأب (يواقيم) قد سبقها إلى العالم الآخر منذ سنتين، أي عندما كانت العذراء مريم في السادسة من عمرها، وبهذا أمست العذراء مريم في الهيكل يتيمة الأبوين، وظلّت هناك في بيت الرّب إلى أن صار لها إثنا عشر عاماً.

وهناك تقليد يقول عن (حنّة) أمّ العذراء أنّها بعد أن ولدت العذراء مريم، فتح الله رحمها فولدت بنتاً أخرى دعّتها هي الأخرى باسم (مريم) وهي التي عرفت باسم "مريم الأخرى" (متى ٢٧: ٦١ و ٢٨: ١) "وَكَاثَتْ وَأَقْفَاثَ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ، أُمُّهُ، وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كُلُوبَا، وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ" (يو ١٩: ٢٥).

وقالت حنّة: مريم الأولى (وهي العذراء) صارت من نصيب الله، أمّا مريم هذه وهي الصغرى فقد صارت من نصيبي. ومريم الأخرى، عندما كبرت تزوّجت برجل يدعى حلفى (كلوبا)^(٢). وقد تبّى القديس إيرونيموس (جيروم) هذا التقليد.

ولكن لم تقبل كل الكنائس الرسولية هذا التقليد فمنها من أخذت به ومنها من رفضته، والرافضون يقولون أنّه من المستبعد أن تكون مريم زوجة كلوبا هي أخت للعذراء بالحقيقة إنّما قريبتها.

ومن الجدير بالذكر أنّ والد العذراء مريم (يواقيم) من سبط يهوذا من نسل داود، ووالدتها (حنّة) ابنة الكاهن مّتان من قبيلة هارون.

(٢) سنتطرق إلى مريم الأخرى لاحقاً في هذا الكتاب في موضوع "أخوة الرّب".

العذراء في اللاهوت المقارن

سأطرق هنا للحديث عن العذراء في منظور الكنائس المسيحية وطرح التعليم المختص بها بين كل من الأرثوذكس، والكاثوليك، والبروتستانت.

{ العذراء في الفكر الأرثوذكسي }

إن الكنيسة الأرثوذكسية تكرم العذراء مريم إكراماً كبيراً ولائقاً مع مكانتها فهي بنظر الكنيسة المكرمة، والدة الإله، المطوبة من السمائيين والأرضيين، الشفيعة غير الخازية، والدائمة البتولية كل حين، أم النور، حواء الجديدة، التي لها دالة عند الله، التي لم تعرف زواجاً أو رجلاً، عروس لا عروس لها، الدائمة الطوبى، الممتلئة نعمة، أكرم من الشيروبيم وأرفع مجدداً بغير قياس من السيرافيم، وأماً للجميع.

ونرى جلياً أن الكنيسة الأرثوذكسية قد أعطت للعذراء مريم ألقاباً كثيرة وهذه التسميات والألقاب التي تستعمل في النصوص الليتورجية وعند بعض الآباء والتي في معظمها تتعلق بالتجسد وإبراز مريم كأداة لهذا التجسد وإظهارها من ثم كعذراء قديسة لحياتنا الخاصة، صورة الكنيسة ومستقر لحكمة الله.

ويؤمن الأرثوذكسيون كافة أن مريم هي أم لهم كما أمر الرب يوحنا الحبيب أن يتخذها أمماً له.

ولكن باللجوء إليها لا تنسى الكنيسة الأرثوذكسية أبداً أنها شفيعة فقط، فهي من الجنس البشري ولا ينظر إليها مطلقاً بالاستقلال عن ابنها لأنها مهما سمّت دالتها عند الرب وعظمت تبقى عضواً في الكنيسة "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي"، ونرى ذلك جلياً في الأيقونة الأرثوذكسية التي تصوّر العذراء مريم دائماً مع الرب يسوع المسيح، والكنيسة في سر الشكر الإلهي (الإفخارستية) لا تلجأ للعذراء فقط من أجل طلب الشفاعة لكنها تصلّي من أجلها

أيضاً لأنها عضو في جسد المسيح إذ يتوجه الكاهن للرب مباشرة بعد الإستحالة^(٣) وتقديس القرايين قائلاً: "أيضاً نقدم كل هذه العبادة الناطقة من أجل كل الذين ارتاحوا من هذه الحياة أيضاً على الإيمان من الأجداد والآباء ورؤساء الآباء والأنبياء والرسل والكرزة والمبشرين... وكل روح صديق توفي على الإيمان، وخاصة من أجل الطاهرة الكلية القداسة الفائقة البركة المجيدة سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم".

ونرى هنا أن الكنيسة بالحقيقة تطلب لأجل العذراء مريم لأنها تبقى أولاً وآخرأ عضواً في الكنيسة، وكثير من الآباء قد تحدّثوا عن حدود إكرام والدة الإله ومنهم الأب متى المسكين^(٤) إذ يقول: "يتبين بوضوح أن ليس للعذراء مريم إعلان خاص غير إعلان المسيح تجاه البشريّة، ولا هي تطالبنا بعبادة دون عبادة المسيح ولا هي منوّطة من قبل المسيح أن تدخل كنائبة عنه لتعامل معنا، لأن النص الذي حدّدته هي صريح: "مهما قال لكم (هو) فافعلوا" (يو ٢: ٥).



فالكنيسة الأرثوذكسية تقدم السلام للعذراء بخشوع كثير واحترام كما قدّمه لها الملاك ولكن بغير عبادة، وتكرم العذراء كأماً الإله تكريماً يفوق كل كرامة لأي ملاك أو رئيس ملائكة وتضع مكانتها فوق الشيروييم والسيرافيم أيضاً، ولكن تكرم بما يحدّده قولها "هوذا أنا أمة (عبدة) الرب" (لو ١: ٣٨). فهي في التقليد الأرثوذكسي (عبدة وأم) فكأماً الإله تكرم وتعظم جداً ويتشفّع بها، وكعبدة لا يمكن أن تُعبد.

(٣) الإستحالة: هي تحول الخبز والخمر على المذبح إلى جسد المسيح ودمه (١ كو ١١: ٢٧-٢٩) بعد حلول الروح القدس. وهو ما يعرف في الكنيسة الأرثوذكسية بالإفخارستية أو سر الشكر الإلهي.

(٤) الأب متى المسكين هو من آباء الكنيسة القبطية، ولكن كوكبه قد لمع في العصر الحديث لأنه كان يحمل روح آباء البرية إذ تأثر بكتابات الآباء الأرثوذكس رغم إيمانه اللا خلقودوني واجتهد ليظهر ما تم إخفاءه وتجاهله من التعاليم الآبائية. ولكنّه قد حورب بشدّة من قيادات كنيسة بسبب تعليمه.

كذلك أليصابات لم تطوّب العذراء لشخصها كنسبية لها، ولكن لسبب ثمة بطنها "فَمِنْ
أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِي أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟" (لو ١: ٤٣).

لذلك تمجّد الكنيسة العذراء لا "كمملكة للسماء" تجلس بمفردها ولكن كمملكة تقف عن
يمين الملك "قامت الملكة عن يمين الملك"^(٥) (مز ٤٥: ٩)، حيث الوقوف لا يؤهلها للمساواة كما
في حالة المسيح حين جلس عن يمين أبيه. من أجل ذلك يتمسك التقليد الأرثوذكسي في
الأيقونة أن لا ترسم العذراء بمفردها قط، بل يحتمّ التقليد أن ترسم العذراء حاملة للمسيح على
ذراعها الأيسر وأن تكون هي قائمة عن يمينه "قامت الملكة عن يمين الملك".

ولا تقبل الكنيسة أن تقدم تمجيداً للعذراء بشخصها بمفرده، ولكن تمجّدها كعذراء وكأم
معاً، فالكنيسة ترى أن "مجد" والدة الإله مكتسب بسبب أمومتها وليس طبيعياً لذلك لا تقدّمه
في شكل عبادة وإنما في صورة تكريم فائق.

كما ترى الكنيسة أيضاً أن نصيب مريم في استعلان المجد العتيد سيكون غير منفصل عن
جسد المسيح السرّي الذي سيجمع البشرية المختارة كلّها معاً كإنسان كامل رأسه المسيح غير أن
نصيبتها سيكون ممتازاً وعلى كل وجه إنما غير منفصل عنّا.

كما تقدم أيضاً الكنيسة الأرثوذكسية البخور أمام أيقونة العذراء الحاملة الطفل يسوع،
لأن مريم أصبحت هي الهيكل الحديد الذي احتوى الحمل المقدّس المعد للذبيحة لذلك أصبح
لائقاً أن يقدّم أمامها بخور الله لكي تشفعه هي بصلاتها عن المؤمنين، فيرتفع البخور أمام الله
حاملًا صلواتهم وصلواتها.

(٥) إن آباء القرون الأولى لم يشيروا إلى الملكة في مزمور ٤٥ بأنها هي العذراء، وإنّما أشاروا إلى أنّها الكنيسة
القائمة عن يمين الملك (المسيح)، إلّا أن الكنيسة الأرثوذكسية تعتبرها هكذا في ألحان عيد دخول العذراء إلى
الهيكل لتكريس حياتها للرب، فتقول مثلاً: «أيتها العذاري حاملات المصاييح ابتهجن اليوم وابدأن في
التلحين، أيتها الأمهات رافقنهنّ في التماجد للملكة والأم عند دخولها إلى هيكل المسيح الملك». فالعذراء
في هذا المقام ترمز للكنيسة.

كما تؤمن الكنيسة بدوام بتولية العذراء مريم حيث أنها كانت بتولاً قبل الحبل العجائبي وأثناء الحبل بالرب يسوع وبعد ولادته، بقيت بتولاً كسر لا ينطق به.

كما تؤمن كذلك الكنيسة الأرثوذكسية أن العذراء مريم وبعد أن أكملت سنينها على الأرض ماتت، ودفنت، ومن ثم انتقلت إلى السماء بالنفس والجسد، وتحتفل الكنيسة لهذا الانتقال إلى السماء في اليوم الثامن والعشرين من آب/أغسطس، ويقام صوم قبل الاحتفال بأربعة عشر يوماً، وانتقال العذراء إلى السماء لم تقرّه الكنيسة كعقيدة إيمانية وإنما هو تقليد أبوي إيماني.

وتكرس الكنيسة الأرثوذكسية عدة أعياد للاحتفال بالعذراء، وهي:

- عيد ميلاد سيدتنا والدة الإله الفاتكة القداسة ٨ أيلول.
- عيد دخول السيّد إلى الهيكل ٢ شباط.
- عيد دخول سيدتنا والدة الإله إلى الهيكل ٢١ تشرين الثاني.
- عيد بشارة والدة الإله الفاتكة القداسة ٧ نيسان.

ويضاف إلى هذه الأعياد الرئيسية عدد آخر ليس بقليل من الأعياد المتعلّقة بوالدة الإله،

ومنها:

- عيد حبل القديسة حنّة أم والدة الإله ٩ كانون الأول.
- عيد وضع زنار والدة الإله الفاتكة القداسة ٣١ آب.
- عيد سيدة الينبوع (يوم الجمعة من أسبوع التجديدات).
- عيد جامع لوالدة الإله الكلّية القداسة ٢٦ كانون الأول.

والكنيسة الأرثوذكسية تؤمن بأن الحبل بمريم يشبه الحبل بأي واحد منّا، أي أنها ورثت نتائج الخطيئة الجديّة وكانت محتاجة للخلاص كأبي واحد منّا، وذلك بحسب قولها "تبتهج روحي بالله مخلصي" (لو ١: ٤٧)، ولكنها عدّت طاهرة عندما تجسّد فيها المسيح الإله، وهذا ما جعلها منزّهة عن أي خطيئة لتكون الوعاء الكامل لحمل المسيح بعد أن تقدّست بالروح القدس.

{ العذراء في الفكر الكاثوليكي }

لدى العذراء مكانة كبيرة جداً في الكنيسة الكاثوليكية، إذ مجّدت فيها بشكل يفوق كل أشكال المديح الذي تلقته العذراء من الكنائس الأخرى (غير الكاثوليكية).

وتتفق الكنيسة الكاثوليكية مع الكنيسة الأرثوذكسية في بعض الصفات المختصّة بالعذراء وبعض التسميات كأم الإله، الممتلئة نعمة، الدائمة البتولية ... إلخ.

كما تعتقد الكنيسة في أن العذراء قد حبل بها بلا دنس الخطيئة الأصلية^(٦)، أي أنّ القديسة حنة والدة العذراء قد حملت بها بلا دنس، أي أن مريم لم تكن حاملة شيء من الخطيئة الأصلية، وتشرح هذه العقيدة (الحبل بلا دنس) كالتالي:



"إن مريم كانت بريئة من الخطيئة الأصلية منذ أول برهة وجودها، أي قد حبل بها في حالة النعمة والبرارة والصدقة مع الله، فإننا منذ أول دخولنا إلى العالم كنّا ضحايا تعيسة لسخطه تعالى. مريم العذراء وحدها دخلت إليه كباكورة ثمار النعمة، وذلك بسبب محبته تعالى لها، إذ لم يشأ أن يكون الهيكل الذي سيسكنه يوماً ملوثاً بوصمة ما. فإنّ شرف الإبن كان يتطلب ألا تكون الأم مستعبدة للشيطان ولو للحظة واحدة." وهو ما يعني أن العذراء مريم قد ولدت مخلصاً من الخطيئة".

وللعذراء دور كبير في الغفرانات التي يمنحها البابوات لمن يتلو تلاوات خاصة أو يزور أماكن معيّنة في أوقات معيّنة، والعذراء قد نالت من هذه الأنواع الثلاثة كثيراً:

(٦) ظهرت عقيدة الحبل بلا دنس عام ١٨٥٤م بعد أن نادى بها البابا بيوس التاسع وقال: "إن الطوباوية مريم العذراء منذ الحبل بها وجدت بحال النعمة بإنعام من الله ووجدت معصومة وناجية من كل وصمة الخطيئة الأصلية، وإن هذه العقيدة أوحى بها الله وينبغي أن يعترف بها المؤمنون اعترافاً ثابتاً دون أن يخالفها أحد.

(١) غفرانات لأوقات معيّنة: بالنسبة للعدراء مريم شهر أيار يعتبر شهر مريمي وقد صادق عليه البابا بيوس السابع وحتى يشجع المؤمنين على ممارساته منح غفران ٣٠٠ يوم عن كل يوم يحضره المسيحي أو يحتفل به في أي مكان، وغفراناً كاملاً لكل الذين يحتفلون بالشهر كله.

(٢) غفرانات لصلوات معيّنة: غفران ٣٠٠ يوم لكل من يقول "يا يسوع ومريم أنا أحبك... إلخ" (٧)، وغفران ٣٠٠ يوم لمن يقول "يا قلب مريم الحلو، كن خلاصي" (٨).

(٣) غفرانات لأماكن معيّنة: مثال الذين يزورون أي كنيسة أو مكان لتكريم العدراء مريم يوم ٨ ديسمبر أو أيام أعياد ميلاد العدراء وبشارتها ودخولها إلى الهيكل وانتقالها إلى السماء.

كما تؤمن الكنيسة الكاثوليكية أن العدراء مريم سيّدة المطهر (٩)، فهي تستطيع أن تساعد وتسعف أبنائها في المطهر بأن تنتشلهم منه أو تحقّف عنهم وطأة العذاب وهي تستطيع أن تستعمل سلطانها وسلطتها في الكنيسة المنتصرة أو المجاهدة أو المتألّمة (كنيسة المطهر) حيث يمتد سلطانها إلى حيث يصل سلطان ابنها.

وتؤمن الكنيسة الكاثوليكية أن العدراء تظهر للأنفس التي في المطهر لتعينها على العذاب (١٠) وأن المطهر قد يفرغ في أعياد العدراء المجيدة مثال السجون التي يطلق منها المساجين في الأعياد وعند العفو الملكي.

(٧) ورد في كتاب "الصلوات اليومية" الكاثوليكي، غفرانات بسبب التلاوات وهذه إحداها.

(٨) انظر كتاب "صلوات أحياء قلب يسوع" صدر سنة ١٩٥٦ ص ١٤.

(٩) عقيدة المطهر لم تعلّم إلا بعد المسيح بتسعمائة سنة، وقد قرّرت كإحدى عقائد الكنيسة الكاثوليكية عام ١٤٣٩م، والمطهر هو المكان الذي تتعذّب فيه أرواح الأموات لفترة من الزمن لتطهيرها من بقايا الخطايا الغير مميّنة التي اقترفتها هذه الأرواح. فالمطهر إذن هو مكان عقاب مؤقت للأرواح قبل دخولها السماء.

(١٠) ورد في كتاب "تحقيق الأمنية في عبارة الوردية" الذي طبع في القاهرة ١٩٨٦م، بعض وعود القديسة العدراء منها: "أخلّص كل يوم من المطهر من كان من مخلصي العبادة لوردتي"، (ص ١٥)، وكل غفرانات الوردية بأسرها خصّصها يسوع للنفوس المطهرة (ص ٢٠)، وغفرانات وهبات عديدة أثبتها البابا لاون الثالث عشر في السنوات ١٨٨٧، ١٨٩٢، ١٨٩٩، (ص ٢٦).

وأيضاً عندما تُمنح زوائد فضائل القديسين^(١١) للعدراء فهي تنقلها للأنفس المعذبة في المطهر لتخفيف مدّتها.

وتؤمن الكنيسة الكاثوليكية بأن العدراء مريم هي شريكة الفداء، حيث أوضح البابا بيوس التاسع في رسالته "الله الذي لا يدرك"، الصادرة في ٨ كانون الأول، ١٨٥٤م، ما يلي:

"إن الآباء والكتّاب الكنسيين علّموا أن نص الكتاب (تك ٣: ١٥) قد سبق ودلّ بوضوح لا ريب فيه، على مخلص الجنس البشري الرّحوم، أي على المسيح يسوع ابن الله الوحيد. ولقد دلّ أيضاً على مريم العدراء أمّه، وصرّح أن بينهما وبين الشيطان عداوة عميقة. ولهذا فكما أنّ المسيح هو الوسيط بين الله والبشر، أخذ الطبيعة البشريّة، وبها أزال الحكم الذي كنّا كلنا استحقّقناه بأن علّقناه على الصليب منتصراً، هكذا العدراء الكلية القداسة، وهي مرتبطة بالمسيح برباط وثيق ومتّحدة به، وبواسطته صامدة ضد سم الحيّة المخيف ومنتصرة عليه، وقد داست رأسها برجلها الطاهرة، هي وسيطة بيننا وبين المسيح الإله".

وقال البابا لاون الثالث عشر "هي مريم أصبحت شريكة ابنها يسوع في خلاص البشريّة"، وقال البابا بيوس العاشر "لقد نالت مريم بصورة غير مباشرة ما صنعه المسيح بصورة مباشرة"، ويضيف البابا بنيدكت الخامس عشر "مريم تألّمت مع ابنها المتألّم والمات وماتت معه. ولقد تنازلت عن حقوقها تجاه ابنها في سبيل خلاص البشر، ولتهدئة عدل الله. وبقدر ما كان لها ذلك، قدّمت مريم ذبيحة ابنها. فيصلح أن يقال أنّها مع المسيح خلّصت الجنس البشري". والبابا بيوس الحادي عشر قال "العدراء الحزينة اشتركت مع يسوع في عمل الفداء" وزاد "العدراء المجيدة قد حبل بها بلا دنس، اختيرت أمّاً للمسيح كي تصير شريكة في الفداء".

(١١) تقر الكنيسة الكاثوليكية في ما يختص بزوائد فضائل القديسين بالآتي "نؤمن أن لكل إنسان فضائل أو غفرانات يأخذها عن طريق التّأديبات الكنيسة أو بصلوات يتلوها فيتحوّل لديه رصيد من البر ويصير عنده فائض يستطيع أن يتصدّق بهذا الفائض إلى إحدى النفوس المعذبة بالمطهر لينقذها من الاستمرار فيه، وعندما نهب زوائدنا للعدراء تصبح ملكاً لها تمنحها للنفوس المعذبة بالمطهر لتخفيف آلامها أو لأحد الخطاة لردّه إلى النعمة".

وتقر الكنيسة الكاثوليكية بعقيدة انتقال العذراء مريم بالنفس والجسد إلى السماء^(١٢) وقد أقرّت هذه العقيدة في العام ١٩٥٠م بحسب البابا بيوس الثاني عشر.

كما أن الكنيسة الكاثوليكية تكرّس عدّة أعياد للعذراء مريم وتقسّم إلى أربع أنواع حسب درجة أهميتها^(١٣):

(١) أعياد مقدّسة كبرى:

وهي التي يلزم فيها حضور القدّاس الإلهي والتناول، كما أعلنها البابا بولس السادس، وهي أعياد هامة: عيد الأمومة الإلهية (أول كانون الثاني)، عيد الحبل بلا دنس الخطيئة الأصلية (٨ كانون الأول)، عيد انتقالها بالنفس والجسد إلى السماء (١٥ آب)، وعيد بشارتها بميلاد السيّد المسيح (٢٥ آذار).

(٢) أعياد احتفالية:

مثل عيد مولدها (٨ أيلول)، وعيد دخولها الهيكل (٢١ كانون الثاني).

(٣) أعياد تذكارية:

مثل ذكرى دخول العائلة المقدسة لأرض مصر.

(٤) تذكارات اختيارية:

مثل ذكرى تدشين أول كنيسة باسم العذراء.

(١٢) تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بانتقال العذراء بالنفس والجسد إلى السماء كتقليد أبوي إيماني، بينما تؤمن الكنيسة الكاثوليكية بأن انتقال العذراء إلى السماء هي عقيدة بحسب ما حدّده البابا بيوس الثاني عشر.

(١٣) "أعياد العذراء" للقس يوحنا اسكندر، مقالة بمجلة مار يوحنا، لوس أنجلوس (٢٠٠١/٨).

{ العذراء في الفكر البروتستانتي }

تشتهر الكنائس البروتستانتية بكثرة مدارس تفسير الكتاب المقدس إذ أعطى مارتن لوتر الحق لكل مسيحي مؤمن لأن يفسر الكتاب المقدس حسبما يرشده روح الله القدوس. وقد شملت حرية التفسير كذلك الأمور المتعلقة بالعذراء مريم التي تكرم في كتاباتهم وأقوالهم كثيراً ولكن يتم النظر إليها بصورة مختلفة عما ينظر لها في الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية.

لا يؤمن البروتستانت بشفاعاة العذراء مريم أو القديسين ويظنون أن في طلب شفاعاة العذراء نعطي عمل المسيح وكرامته لها، حيث لا يوجد إلا شفيع واحد وهو يسوع المسيح بحسب نص الآية: "لَأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (١ تي ٢: ٥).

كما لا يؤمن البروتستانت كذلك بدوام بتولية العذراء، إذ يؤمنون أنها بعد أن أنجبت المسيح عاشت في حالة الزواج مع رجلها (يوسف) ويستشهدون على زواجها من يوسف بعد انجاب المسيح "وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ" (مت ١: ٢٤). وعبرة ابنها البكر يعتمدون عليها؛ أي أنه الأول بين اخوته. كما يعتمدون على عبارة (امراتك) التي قيلت ليوسف عن العذراء (مت ١: ٢٠) وكلمة امرأة عموماً متى أطلقت على العذراء مثل "مَا لِي وَلَكَ يَا امْرَأَةً" (يو ٤: ٢٠) و"يَا امْرَأَةً، هُوَذَا ابْنُكَ" (يو ١٩: ٢٦).



كما يؤمن البروتستانت أن العذراء مريم قد أنجبت أولاداً من يوسف، فيسوع قد دعي (ابنها البكر) أي أنه الأول، ويستشهدون بهذه الآيات لإثبات وجود أخوة ليسوع قد أنجبتهم مريم "أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبُ وَيُوسَى وَسَمْعَانَ وَيَهُوذَا" (مت ١٣: ٥٥).

وأيضاً لا يؤمن البروتستانت أن العذراء مريم "ممتلئة نعمة" بل "المنعم عليها"^(١٤) كما يرد في الترجمات البروتستانتية؛ أي أنها لا تمتلك أي امتياز عن الجنس البشري الذي أنعم عليه الله أيضاً.

ويرفض البروتستانت أن يطلق على العذراء لقب والدة الإله، ويعلّون ذلك بأنهم إذا أقروا بأنها والدة الإله إذن فهي موجودة قبل الله، فهي لم تلد إلاّ جسد المسيح لذلك يفضلون أن يطلقوا عليها (أم يسوع).

وبعض المتطرفين فكرياً من البروتستانت يحاولون التقليل من قيمة العذراء بصورة كبيرة إذ يشبهونها بعلبة المجوهرات التي فيها جوهرة نأخذها ونرمي العلبة أو كالبيضة نقشر القشرة ونأكل البيضة، وبعضهم شبهها بعلبة السّردين التي أخذوا منها المسيح وألقوها... وإلخ، رغم أن الكنائس الإنجيلية لا تعلم هذا التعليم بل هو سلوك أفراد، بل قد تجرأ البعض وقالوا عنها "أختنا" وكأن لا امتياز لها عن أي شخص آخر.

ولا تعيد الكنائس البروتستانتية للعذراء مطلقاً باستثناء الكنيسة الإنجليكانية التي تحتفل بذكرى انتقال مريم العذراء إلى السماء في الخامس عشر من آب وتقر صوماً اختيارياً لهذه الذكرى. وتحتفل كذلك بعيد طهارة القديسة مريم العذراء في الثاني من شباط، وتحتفل أيضاً بعيد البشارة للقديسة المباركة في الخامس والعشرين من مارس، وتقوم الكنيسة في إنجلترا بإقامة ذبيحة القربان المقدس في هذين الاحتفالين. كما أن الكنيسة الإنجليكانية تحتفل بذكرى ولادة السيدة العذراء في الثامن من سبتمبر، وبالنسبة لاحتفالهم بانتقال العذراء إلى السماء يقول الإنجليكان بأنّ مريم ماتت وبعد موتها انتقلت روحها إلى السماء بدون جسدها.

وسأطرق بنعمة المسيح إلى كل هذه العقائد التي تتبنّاها كافة الكنائس (الأرثوذكسية، الكاثوليكية والبروتستانتية) بشكل تفصيلي بهذا الكتاب.

(١٤) وردت الممتلئة نعمة بحسب الترجمة اللاتينية في الفولجاتا، حيث جاءت: "Ave gratia plena" وكذلك في الترجمة القبطية: xere qheqme\`n\mot، وقد وردت كذلك أيضاً في الأصل اليوناني:

العدراء في اللاهوت العقائدي

{ والدة الإله (أم) أم يسوع }

لعلّ من أكثر الموضوعات المثيرة للجدل حول العدراء هو نعتها بوالدة الإله من قبل الأرثوذكس والكاثوليك من جهة، ورفض البروتستانت وانكارهم عليها هذا اللقب من جهة أخرى.

ولتوضيح هذه النقطة يجب أن نعلم أن العقيدة المريمية مؤسسة على العقيدة الخريستولوجية (التعليم عن شخص المسيح)، وحتى نفهم لقب "والدة الإله" المنسوب إلى العدراء يجب أولاً أن نفهم التعليم الصحيح المتعلق بشخص السيد المسيح له كل المجد.

يسوع المسيح هو الله المتجسد؛ أي هو الإله الكامل والإنسان الكامل. إنما هو أقنوم واحد لا شخصان، أقنومه الإلهي كان أقنوم طبيعته الإلهية (اللاهوت) قبل تجسده. في يوم التجسد (يوم بشارة العدراء) أخذ الرب يسوع من العدراء طبيعة بشرية كاملة بعد أن حلّ الروح القدس على العدراء وقُدّسها وطهّرها (غريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الدمشقي). فصار أقنومه الإلهي الواحد أقنوم طبيعته الإلهية (اللاهوت) وطبيعته



البشرية (الناسوت) معاً على حد سواء. إذن؛ يسوع هو شخص واحد لا شخصان. العدراء مريم لم تلد ناسوت يسوع مجرداً! بل ولدت الإله المتجسد (بلاهوته وناسوته) لأن أقنوم يسوع ضمّ إليه منها طبيعته البشرية. ففي قانون الإيمان نقول "نزل من السماء وتجسّد... وتأنّس". هو نفسه الواحد إله وإنسان بدون تجزئة أو انفصال أو اختلاط ولاهوته لم يفارق ناسوته ولا للحظة واحدة ولا لطرفة عين، شخص واحد. نقول مريم أم الله أو والدة الإله لأن الأقنوم واحد لا ينفصل، فهي ولدت شخص يسوع بكامله، أي ولدت الإله المتجسد. ومن هنا فإن تسمية

العدراء "والدة الإله" ليست تسمية صحيحة فقط بل يجب تسميتها هكذا وإلا شققنا شخص يسوع وطعنا في الخرسولوجيا.

والآن لنرى رأي الكتاب المقدس والمجامع المسكونية والآباء القديسين حول هذا الموضوع في من تكون العدراء مريم...

٧ بحسب الكتاب المقدس: هناك نصوص كثيرة تؤكد أن العدراء هي والدة الإله، وهي كما يلي:

- قالت أليصابات بعد أن امتلأت بالروح القدس: "فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟" (لو ١: ٤٣). ويقول الأب المتنيح متى المسكين في تفسيره لهذه الآية من إنجيل البشير لوقا: "فدعتها «أم ربي»، وحسبت زيارتها لها شرفاً لها وفرحة ملأت كيائها، وبانسحاق اعترفت بعلو كرامة مريم: «من أين لي هذا أن تأتي «أم ربي إلي» التي هي بعينها "التيوتوكوس" Θεοτόκος، أي والدة الإله! التي أقرها مجمع أفسس رسمياً في الكنيسة سنة ٤٣١ م. وهكذا برؤيا نبوية خاطفة، أدركت أليصابات كل ما قيل للعدراء من قِبَلِ الله، فطوّبتها: «فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قِبَلِ الرب» وإننا نتعجب إن كانت أليصابات وهي ممتلئة بالروح القدس، ونطقت بالنبوة نطقاً واعياً صاحباً بأن العدراء هي «أُم ربي» أي والدة الإله - الثيوتوكوس - وطوّبتها فوق جميع النساء، فكيف لا تطوّبها الكنيسة كلها؟ وكيف تدعوها بغير لقبها كـ "أُم ربي" أي والدة الإله؟".

ولي أنا وقفة عند هذه الآية الصريحة، فإن قالت أليصابات بالروح القدس للعدراء (أُم ربي) فماذا بقي للمعتزين؟! أنكر ما أقرّ به الروح القدس على لسان أليصابات ونخالف الكتاب؟ أم ندّعي باطلاً كشهود يهوه الذين يقولون كانت أليصابات تعني "أُم سيّدي" وليس "أُم إلهي" فإنهم لم يعرفوا بعد قوة الله لأنهم لم يدركوا أن المولود منها هو "الإله الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يو ١: ٢٠) وما معنى ربي، ولماذا نادى أليصابات المسيح بـ (ربي)؟ أليس لأنه ربّها حقيقةً أو ليس لأنه إلهها؟ إذن، ماذا يقول المعتضون حين يدعى يعقوب بأنه "أخو الرب" (غل ١: ١٩)، فهل هو أخو اللاهوت؟ لا بل أخو الله المتجسّد، هو أخو يسوع الإله وأخو

يسوع الرب، فقد يقول المعارضون أن العذراء هي "أم الرب" وليست "أم الإله"، ومن يكون الرب يسوع أليس هو الإله المتجسد؟ وأنا أسأل هل يستطيع أي معترض أن يقول أن مريم هي (أم المسيح الإله) أم لا؟ والجواب متروك لهم!.

- وقال لها جبرائيل: "الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ" (لو ١: ٣٥).
 - وقال للرعاة "أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلَّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ" (لو ٢: ١١) والمسيح الرب هو المسيح يهوه واسم يسوع هو مختصر لـ "يهوه يخلص".
 - وقال إشعياء النبي "هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّاَنُؤِيلَ»، الذي تفسيره الله معنا" (اش ٧: ١٤ ، مت ١: ٢٣).
 - وقال زكريا الكاهن لابنه يوحنا المعمدان: "وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيُّ الْعَلِيِّ تُدْعَى، لِأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرْقَهُ" (لو ١: ٧٦).
- إذن؛ العذراء في الأناجيل هي أم ابن العلي، أم ابن الله، أم الرب، أم عمانوئيل، أم المسيح الرب، أم يهوه الفادي المخلص، أم يسوع، وبما أن المسيح هو الله بحسب (يو ١: ١٠) (رو ٩: ٥) (يو ٢٠: ٢٨). إذن تكون العذراء هي والدة الإله، ولهذا لخصت الكنيسة كل هذه الألقاب بلقب واحد جامع هو أم الله أو والدة الإله.

٧ بحسب التاريخ: ثبتّ الجمع المسكوني الثالث المتعقد في أفسس العام ٤٣١ م عقيدة لقب والدة الإله *Theotokos* رداً على هرطقة نسطوريوس^(١٥)، وقد حكم الجمع بحرم نسطوريوس، وأرسل أعضاء الجمع رسالة للإمبراطور البيزنطي قالوا فيها: "نحن نؤمن أن

(١٥) نسطوريوس: هو بطريرك القسطنطينية بين عامي ٤٢٨ - ٤٣١ م، وبدعته تحورت حول الصلة القائمة بين اللاهوت والناسوت في يسوع المسيح. فبدل أن ينسب إلى أقنوم الكلمة المتجسد الواحد الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، وبالتالي خواص هاتين الطبيعتين وأعمالهما، قال بأنّ المسيح مكوّن من شخصين، شخص إلهي هو الكلمة، وشخص بشريّ هو يسوع. لم يكن هناك في نظره اتّحاد بين طبيعة بشرية وأقنوم إلهي، بل مجرد صلة بين شخص بشريّ واللاهوت. فكان يرفض كلّ مشاركة في الخواصّ وبأبي أن يطلق على مريم لقب "والدة الإله" ذلك بأنه حسب اعتقاده قد ولّدت الإنسان فقط.

عمانوييل هو الإله المتأنس... وأما نسطوريوس فلم يشأ أن يشاركنا هذا الإيمان ولذلك فهو غريب عن البيعة، هو وكل من لا يقول إن العذراء ولدت الكلمة (*logos*) متجسداً..."

ثم وضع المجمع مقدّمة لقانون الإيمان (النيقاوي) تؤكد على أن القديسة مريم هي "والدة الإله" ونصّها ما يلي: "نعظّمك يا أمّ النور الحقيقي، ونمجّدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله، لأنك ولدت مخلص العالم... إلخ".

وهذا اللقب (والدة الإله) كان مستعملاً حتى قبل هذا المجمع. فقد استعمل العلامة العظيم أوريجانوس (١٨٥ - ٢٥٤م) لفظة والدة الإله في تفسيره (تث ٢٢: ٢٣). ويذكر المؤرخ الكنسي سقراط (الكتاب ٧ من التاريخ، الفصل ٣٢) أن أوريجانوس سمى العذراء والدة الإله.

٧ بحسب الآباء: فإنّ العذراء قد نالت في كتاباتهم نصيباً كبيراً وحول عبارة "والدة الإله" فقد استعملها الكثيرون منهم:

• القديس كيرلس الإسكندري: إذ قال: "إني أتعجب كيف يسوغ وقوع الريب في هل أن العذراء القديسة ينبغي ان تدعى والدة الإله لأنه إن كان ربنا يسوع المسيح إلهاً والعذراء أمه فهي إذاً أم الإله"، ويقول أيضاً: "وهكذا في نظام الطبيعة (خلق الناس) فالأمهات لا يشتركن - بنوع من الأنواع البتّة - في خلقة النفس، ومع ذلك لا يمنع القول بأنّهن أمهات الإنسان كله، وليس أمهات الجسد فقط".

وأضاف أيضاً في إحدى رسائله إلى نسطوريوس عندما أخذ بتفسير التسمية إذ قال: "ليس لأن طبيعة الكلمة أو لاهوته كانت بدايته من العذراء القديسة، بل لأنه منها ولد الجسد المقدس بنفس عاقلة، وهو الجسد الذي اتّحد به شخصياً الكلمة الذي قيل عنه إنه ولد بحسب الجسد، وما دامت العذراء القديسة ولدت بالجسد الله الذي صار واحداً مع الجسد بحسب الطبيعة، لهذا السبب ندعوها والدة الإله، ولا نعني بذلك أن

طبيعة الكلمة كان بداية وجوده في الجسد". وأيضاً في كتابه إلى نسطوريوس قال: "إن القديس أثناسيوس الكبير قد دعا مريم والدة الإله *Theotokos*".

وأيضاً قد وقف يتحدث أمام آباء مجمع أفسس، قائلاً: "السلام لمريم والدة الإله، الكنز الملوكي للعالم كله، المصباح غير المنطفئ، إكليل البتولية، صولجان الأرثوذكسية، الهيكل غير المفهوم، مسكن غير المحدود، الأم وعذراء. السلام لك يا من حملت غير المحوى في أحشائك البتولية المقدسة".

• **القديس باسيليوس الكبير:** في حديثه عن ميلاد المسيح يقول: "إن أم الله لم تكف قط عن أن تكون عذراء".

• **القديس غريغوريوس اللاهوتي:** يقول في رسالته الأولى إلى كليدونوس: "إن كان يوجد أي واحد لا يعتبر مريم أمها والدة الإله فإنه مفتقر إلى اللاهوت". وفي حديثه الأول عن الإبن يخاطب اليونان قائلاً: "أين من بين آلهتكم قد عرفتم عذراء أمّاً لله؟".

• **أفسابيوس:** قال في (حياة قسطنطين، الفصل ٤٣): "لهذا حقاً إن أكثر الملكات توقيراً لله (هيلانة) قد زينت بالشواهد الرائعة مكان ولادة أم الله (أي بيت لحم)".

• **وقال ديونيسيوس الإسكندري لبولس السمسياطي:** "إن الذي قد تجسّد من العذراء القديسة والدة الإله...".

• **ويقول القديس يوحنا الدمشقي:** "إن النعمة غلبت الطبيعة وكان من المقرر أن تولد أم الله من حنة فلم تتجاسر الطبيعة أن تتعدى على النعمة فظلت عاقراً إلى أن أنجبت النعمة ثمرتها... فيالغبطة يواقيم الذي ألقى زرعاً طاهراً وبالعظمة حنة التي نمت في أحشائها ابنة كاملة القداسة".

ويضيف أيضاً القديس يوحنا الدمشقي في كتابه (المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي ١٢:٣) "أن اسم أم الإله يحوي كل سر التدبير الإلهي، فالمولود منها هو بالتأكيد إله وأيضاً إنسان، فاسمها هذا دليل على تواجد طبيعتين في ربنا يسوع المسيح".

- **ويقول القديس ميتوديوس:** "إن اسمك يا أم الله ممتلئ نعماً وبركات لقد فهمت ما لم يصل إليه إبراك وحويت من لا حد له، أنت أم الخالق ومغذية مغذي الكل قد حملت من بكلمته يحمل الكل".

وقد استعمل عبارة والددة الإله كثيرون أيضاً، ومنهم: الكسندروس الإسكندري، وديديموس الأعمى، والغرويغوريوس، والقديس كيرلس الأورشليمي وغيرهم من الآباء القديسين. وما يجهله الكثيرون هو أن مؤسس حركة الإصلاح نفسه "مارتن لوثر" قد استخدم لقب والددة الإله في كتابه "تعظم"^(١٦) إذ قال: "إني لا أجد في الكتاب المقدس كلاً ما يلائم موضوعنا، كهذه الأنشودة المقدسة التي أنشدتها والددة الإله المباركة أسمى البركات، ليت والددة الإله تتلطف وتنعم عليّ بروح الحكمة والفهم، فأقوم بتفسير نشيدها تفسيراً تاماً وذا نفع عميم، وليحل هذا الروح على سموكم وعلينا جميعاً. وهكذا يمكننا أن نمجد الله ونتغنى بأنشودة "تعظم" في السماء أبداً، ليساعدنا الله على ذلك.. آمين".

٧ بحسب الليتورجيا^(١٧): ففي الليتورجيا ترتل الكنيسة الأرثوذكسية وتقول: "يا حنة إننا نعيّد لحبلك، إن حنة المجيدة الآن تحبل بالنقية والددة الإله" (اليوم التاسع من كانون الأول، صلاة السحر الأودية الأولى).

ونقول أيضاً في مدح العذراء في الليتورجيا: "بواجب الإستئصال حقاً نغبط والددة الإله الدائمة الطوبة البريئة من العيوب أم إلّنا ...".

(١٦) كتاب تعظم: هو بمثابة رسالة وجهها مارتن لوثر إلى أمير ساكسونيا وضمّنها نصائح للذين لهم منصب في الحكم أو أوتوا مسؤوليات يكونون بها مطالبين عن أعمالهم. وقد ترجم الكتاب إلى العربية الأستاذ فهد أبو غزالة.

(١٧) الليتورجيا: كلمة يونانية الأصل (λειτουργία / leitourgia)، وكانت في البداية تعني العمل أو الخدمة، ويُقصد بها الصلوات الاجتماعية بكل أنواعها ولكن استقر الرأي على إطلاق هذا الاصطلاح على القداس الإلهي تحديداً.

وفي ترتيلة "يا كلمة الله" نقول: "لقد قبلت أن تتجسّد لأجل خلاصنا، من القديسة والدة الإله ...".

لذلك فإنّ جميع الذين يرفضون لقب والدة الإله يقعون في الهرطقة النسطورية وبخالفون المجامع الكنسية ويطعنون في الإيمان بأن شخص المسيح هو شخص واحد في طبيعتين كاملتين إلهية وبشريّة، وبالتالي يعرّضون خلاصهم الشخصي للخطر.

فإن قلنا أن مريم هي فقط أم يسوع الإنسان نشق شخص يسوع ونجعل الإبن ابنين: ابن الله وابن الإنسان، وإن قلنا ان الآب هو أبو لاهوت يسوع فقط نشق شخص يسوع أيضاً.

وحدة أقنوم (شخص) يسوع يسمح بتسمية مريم والدة الإله، وبتسمية الآب أباً ناسوت يسوع. أي تفريق في شخص يسوع هو هرطقة تصب في الهرطقات التي طعنت في الخريستولوجيا (علم متخصص بشخص يسوع المسيح)، مثل هرطقات (أبوليناريوس، نسطوريوس، أوطاخيا، وسرجيوس)^(١٨).

تقول احدى الترانيم: "يا من هو بغير أم من جهة أبيه وبغير أب من جهة أمّه ...".

التركيز هو على وحدة الأقنوم التي جعلت الآب أباً ليسوع الإله الإنسان، والعذراء أمّاً ليسوع الإنسان الإله. لهذا فلقب والدة الإله ليس مجرد تكريم للعذراء مريم وإنما هو اعلان إيمان بشخص يسوع المسيح، بلاهوته وناسوته المتّحدين، الإله المتجسّد الذي له المجد والكرامة إلى دهر الدهور، آمين.

(١٨) "أبوليناريوس" قال كما أن الإنسان العادي مكوّن من جسد ونفس وروح، هكذا يسوع المسيح هو مكوّن من جسد ونفس والكلمة (اللوغوس)، وفي رأيه أن الكلمة قد حل محل الروح **pneuma** واتحد بالجسد والنفس لتكوين الاتحاد. "نسطوريوس" علّم أن طبيعتي المسيح لاهوته وناسوته منفصلين وغير متّحدين كما شرحنا سابقاً. "أوطاخيا" علّم أن طبيعة المسيح البشرية تلاشت في الطبيعية الإلهية أي أن ناسوته قد ذاب في لاهوته فصار السيد المسيح بطبيعة واحدة ممتزجة. "سرجيوس" علّم أن للمسيح طبيعتين ومشئّة واحدة وفعل واحد، رغم أن الرب يسوع تحدث عن وجود مشيئتين (بشرية وإلهية) والمشئّة البشرية خاضعة كلياً للمشئّة الإلهية (مت ٢٦: ٣٩، ٤٢).

{ دائمة البتولية (أم) فقدت بتوليبتها }

إن موضوع دوام بتولية العذراء هو موضوع قديم جداً، وقد تحدّث عنه آباء الكنيسة منذ القرون الثلاثة الأولى للميلاد، وكذلك تحدّث عنه آباء القرنين الرابع والخامس، ولكن حتى يومنا هذا ما زال موضوع دوام بتولية العذراء مطروحاً، فمن جهة يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك أنها دائمة البتولية، ومن جهة أخرى ينكر البروتستانت دوام بتوليبتها ويقولون إنها بعد ميلاد السيد المسيح عاشت مع القديس يوسف كزوجة وأنجبت منه أولاداً تسمّوا "أخوة يسوع" أو "أخوة الرب"، وقد زعموا ذلك نقلاً عن المهرطقة القدامى كأمثال هلفيديوس، وأبيون، وبونيفاس.

وقد اعتمدوا في آرائهم لرفض دوام بتولية العذراء على أربعة نقاط وهي:

- (١) عبارة "لَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتْ" (مت ٢٥: ١) وكذلك "قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وَجَدْتُ خُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (مت ١٨: ١).
- (٢) عبارة "ابنها البكر" التي وردت في (مت ٢٥: ١) "وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ" و(لو ٧: ٢) "فَوَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ وَقَمَطَتْهُ وَأَضَجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ". معتمدين أن البكر معناه الأول وسط أخوته.
- (٣) عبارة "امراتك" التي قيلت ليوسف عن العذراء مريم في (مت ٢٠: ١) وكلمة امرأة عموماً متى أُطْلِقَتْ على العذراء كما دعاها يسوع (يو ٤: ٢) و (يو ١٩: ٢٦).
- (٤) الآيات التي وردت فيها عبارة "أخوته" عن السيد المسيح مثل (مت ١٢: ٤٦)، (مت ١٣: ٥٤-٥٦)، (يو ٢: ١٢).

وسأتناول هذه النقاط بالتفصيل مع الرد على جميع الاعتراضات بنعمة الرب يسوع:

٧ لم يعرفها حتى.

إن كلمة (حتى) أو (إلى أن) *Until* إذا كانت مسبقة بنفي فعالباً ما ترد في الكتاب بمعنى القطع بعدم وقوع ما تعلّقت به في الماضي دون اثبات وقوعه في المستقبل، وصيغة "ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" تدل حتماً على الزمان السابق لكلمة "حتى *eos*" ولا تعطي أية معلومات تفيد ما حدث بعد "حتى"، فالبشير متى هنا مهتم بالتأكيد على بتولية مريم قبل الولادة تحقيقاً لنبوّة اشعيا النبي "هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا" (اش ٧: ١٤) وليؤكد لليهود أن المولود من مريم لم يكن ابن يوسف النجار كما كانوا يظنون "أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ النَّجَّارِ؟" (مت ١٣: ٥٥)، لذلك أكّد في عبارته أن يوسف لم يعرف مريم حتى ولدت يسوع.

وهذا هو ما أكّده القديس يوحنا الذهبي الفم إذ قال: "إن هذه ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، أو لم يكن ليكمال ولد حتى ماتت... هي تلك الصيغة المستعملة في الكتاب المقدس ولم يشأ الإنجيليون (الذين دوّنوا الأناجيل) أن يخرجوا عن الصيغة المستعملة في الكتاب المقدس حتى لا يكون هنالك أي عدم انسجام في صيغ الكتاب المقدس" (١٩) أي لم يستعمل الإنجيلي متى على سبيل المثال "ولم يعرفها حتى بعد ما ولدت ابنها البكر" وذلك لأن "ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" تكفي لأن يفهم القارئ ما هو المقصود من هذه الآية لأن تلك العبارات مفهومة أيضاً في جميع الكتاب المقدس.

وللتأكيد على أن "حتى" تنسحب على ما قبلها، ولا تعني عكسها فيما بعد، نعطي عدّة أمثلة من الكتاب المقدس:

- "وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشَفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الْأَرْضِ" (تك ٨: ٧) فإذا قدرنا الإثبات بعد النفي حسب زعم البروتستانت في تأويل "ولم يعرفها... ثم عرفها"، نضطر إلى القول بأن الغراب رجع إلى الفلك، وليس من يقول بذلك قط.

(١٩) راجع تفسير انجيل متى الإصحاح الأول للقديس يوحنا الذهبي الفم، ترجمة الدكتور عدنان طرابلسي.



- "يَشْرِقُ فِي أَيَّامِهِ الصَّادِقُ، وَكَثْرَةُ السَّلَامِ إِلَى أَنْ يَضْمَحِلَّ الْقَمَرُ" (مز ٧٢: ٧)، ولا يعني هذا أن الصديق وكثرة السلام سيغريان بعد اضمحلال القمر.

- "...كَمَا أَنَّ عَيْنِي الْجَارِيَةِ نَحْوَ يَدِ سَيِّدَتِهَا، هَكَذَا عُيُونُنَا نَحْوَ الرَّبِّ إِلَهِنَا حَتَّى يَتَرَأَّفَ عَلَيْنَا" (مز ١٢٣: ٢)، طبعاً لن تكفّ عيوننا عن النظر نحو الله حتى بعد أن يتراءف علينا.

- "وَلَمْ يَكُنْ لِمِيكَالَ بِنْتُ شَاوُلَ وَلَدٌ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهَا" (٢ صم ٢٣: ٦)، وبالطبع لم تنجب ميكال بعد موتها (لم تلد أبداً).

- "وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" (مت ٢٨: ٢٠)، ومن المؤكّد سيظل يسوع معنا حتى بعد انقضاء الدهر.

- "قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ" (مز ١١٠: ١)، (مت ٢٢: ٤٤)، وبالطبع بعد هذا سيظل جالساً عن يمينه.

- "لَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الْأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ" (١ كو ١٥: ٢٥)، وبالتأكيد لن يزول ملك المسيح حتى بعد أن يضع أعدائه تحت قدميه. والأمثلة من هذا النوع كثيرة جداً.

وقد دوّن القديس إيرونيموس (جيروم) مقالاً دافع فيه عن دوام بتولية العذراء ضد رجل يدعى هلفيديوس سنة ٣٨٣ م. وكل الآراء التي يعتمد عليها أخوتنا البروتستانت حالياً لا تخرج عن آراء هلفيديوس هذا!

وحول عبارة "لم يعرفها حتى" قال القديس جيروم في هذا المجال: "لو قلنا أن المبتدع هلفيديوس لم يتب حتى مات، فهل يؤخذ من ذلك أنه تاب بعد موته؟ كلا. وبالتالي كلمة

«حتى» لا يستدل منها بتاتاً على أن القديس يوسف عرف القديسة مريم، بعد أن ولدت السيد له المجد".

إذن كلمة «حتى» لا تعني بالضرورة عكس ما بعدها.

فيوسف لم يعرف مريم حتى ولدت ابنها البكر. ولا بعد أن ولدته عرفها أيضاً. لأنه إن كان قد احتشم عن أن يمسه قبل ميلاد المسيح، فكذلك بالأولى بعد ولادته، وبعد أن رأى المعجزات والملائكة والجحوش وتحقق من النبوءات وعلم يقيناً أنه مولود من الروح القدس، وأنه ابن العلي يدعى، وأنه القدوس وعمانوئيل والمخلص.

وأنه هو الذي تحققت فيه نبوءة أشعيا "هَـا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّاْنُوئِيلَ" (اش ٧: ١٤)، وأيضاً "لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً، وتكون الرئاسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا، أَبَا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلَامِ. لِنُمُو رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلَامِ لَا نِهَآيَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ" (اش ٩: ٦-٧)، ولعل هذا الجزء الأخير هو الذي اقتبسه الملاك في بشارته للعدراء (لو ١: ٣١-٣٣).

٧ قبل أن يجتمعا.

كما ذكرنا سابقاً فإن هدف البشير متى هو اثبات أن السيد المسيح قد حبل به من عدراء لم تعرف رجلاً وإنه ليس ابن يوسف النجار كما ظن اليهود (مت ١٣: ٥٥) لسببين:

(١) لاثبات أن المولود، لم يولد ولادة طبيعية من أبوين كباقي الناس، إنما ولادته من عدراء دليل على لاهوته، إذ يكون قد ولد من الروح القدس. وهذا ما عبر عنه الملاك بقوله: "لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس" (مت ١: ٢٠).

(٢) لأن ولادته من عدراء بغير زرع بشر، تجعلنا نؤمن أنه لم يرث نتائج الخطية الجدّية، وبهذا يكون قادراً على تخلصنا، لأنه إذ هو بلا خطية يمكن أن يموت عن الخطاة.

لذلك كان تركيز الرسول هو أن العذراء لم تجتمع برجل قبل ميلاد الرب يسوع لإثبات ميلاده العذراوي. أما كونها بعد ميلاده لم تجتمع برجل فهذا أمر بديهي لا يحتاج إلى إثبات.

٧ ابنها البكر.

الإبن البكر هو الإبن المولود أولاً، إن كان وحيداً أو بين أخوة، وحتى بالأصل اليوناني جاءت الكلمة بلفظة "بروتوتوكس" وتعني المولود الأول، وحسب ترجمة هذه الكلمة بالإنجليزية (*Firstborn*)، فإنها تعطينا تعريف أوضح لمعنى البكر، إذ يقول الوحي الإلهي: "قَدَّسْ لِي كُلَّ بَكْرٍ، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي" (خر ١٣: ٢). فكان كل فاتح رحم، يصير مقدساً للرب، مختصاً للرب، سواء ولد بعده ابن آخر أو لم يولد، ولا ينتظر أبواه إن كان انساناً أو مالكوه إن كان من البهائم حتى يولد له أخوة يصير بهم بكرًا! ثم يختصونه للرب.

وهكذا كان السيد المسيح له كل المجد هو الإبن البكر، وهو الإبن الوحيد وقد صدق القديس جيروم حينما قال: "كل ابن وحيد هو ابن بكر، ولكن ليس كل ابن بكر هو ابن وحيد".

إنّ تعبير البكر لا يشير إلى شخص ولد بعده آخرون، ولكن إلى واحد ليس له من يسبقه. وبكر الحيوانات الطاهرة كان يقدم ذبيحة للرب، وما كانوا ينتظرون حتى يولد أبناء بعده. إنه بكر حتى لو لم يولد بعده، لأنه فاتح رحم.

وهكذا؛ فإن السيد المسيح له كل المجد (كابن بكر للعذراء) قدّموا عنه ذبيحة للرب في يوم الأربعين (يوم تطهير العذراء بعد ولادتها)، ويقول الكتاب عن العذراء: "وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنْ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحِ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ. وَلَكِي يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرَخِي حَمَامٍ" (لو ٢٢: ٢٤-٢٥).

وواضح هنا أن السيد المسيح قد طبّقت عليه شريعة البكر في اليوم الأربعين من مولده، وطبعاً لا علاقة هنا بين البكر وميلاد أخوة آخرين.

والكتاب المقدس أعتاد أن يدعو "المولود الأول" بكرًا، حتى ولو كان وحيداً. وقد دعي الرب يسوع المسيح بكر الله الآب في (عب ١: ٦) "وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ" رغم أنه ابنه الوحيد (*monogenus*) من نفس طبيعته ومساوي له بالجوهر "لأنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ..." (يو ٣: ١٦).

وقد دعى الله شعب اسرائيل "ابني البكر" رغم أنه لم يكن له شعب آخر سواه (خر ٤: ٢٢)، وأيضاً قال الله على لسان إشعياء النبي "أَنَا الْأَوَّلُ..." (اش ٤٤: ٦) فهل من إله ثان أو ثالث؟ حاشا!.

والقديس جيروم يتسائل "هل حينما ضرب الرب أبكار المصريين، ضرب فقط الأبكار الذين لهم أخوة، أم كل فاتحي الرحم سواء كان لهم أخوة أو لم يكن؟".

وسأجيب أنا على قول القديس، فقد كان لفرعون ابن وحيد، ومع ذلك قتل مع أبكار مصر لأنه قد حصي بكرًا. ونرى أيضاً أن داوود بن يسي قد دعي بكرًا أيضاً "أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ" (مز ٨٩: ٢٧)، وكان داوود أصغر أبناء يسي، والله لم يعكس ترتيب ولادته هنا وإنما كان يتكلم عن "بكورية" داوود الروحية، عن مكانته المتميزة بين الآخرين، لهذا لكلمة "البكر" معنى مهم في الكتاب، إذ تشير إلى علاقة خاصة بين الله وبين شعبه. وعندما ينتهك البكر هذه العلاقة فإنه يفقدها، كما حدث عندما أعطيت البكورية ليوسف بدلاً من رأوبين (أخ ١: ٢-٢٠). ومن هنا نفهم لماذا استخدم البشير متى كلمة "البكر" ليسوع، لأن يسوع هو الابن الأول لمريم ولأنه كبكر اشترانا وردنا إلى ملك الآب بعدما صرنا متغيرين عنه. لقد حقّق يسوع معاني لقب "البكر" ومهامه. ولم يقصد البشير متى أبداً أن يقول ان مريم قد ولدت أولاداً بعد يسوع بل دعاه بكرًا لأنها لم تلد مولوداً قبله. والقول بعكس هذا هو خيانة للاهوت القديس متى وللكتاب المقدس نفسه.

٧ عبارة امرأتك.

إنّ منكروا دوام بتولية العذراء يعتمدون في الغالب على عبارة "امراتك" التي قيلت في العذراء مريم، فلو كانت فتاة عذراء لما دعيت امرأة، وللرد بنعمة الرب يسوع أقول: عن عبارة "امراتك" تعني زوجتك، وكانت تطلق على كل فتاة مخطوبة. وفي قول الملاك للقديس يوسف النجار "لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأنّ الذي حبل به فيها هو من الروح القدس" (مت ٢٠: ١). ويفسر القديس يوحنا الذهبي الفم هذه الآية بالتالي "هنا يدعو الخطيئة زوجة، كما تعود الكتاب أن يدعو المخطوبين أزواجاً حتى قبل الزواج" ويضيف أيضاً قائلاً "ماذا تعني عبارة (تأخذ امرأتك)؟ معناها أن تحفظها في بيتك... كمن قد عهد بها إليك من الله وليس من أبويها، لأنه قد عهد بها إليك ليس للزواج وإنما لتعيش معك، كما عهد بها المسيح نفسه فيما بعد إلى تلميذه يوحنا (تفسير متى مقالة ١١: ٤).



ولا يختلف رأي القديس جيروم عن ذهبي الفم إذ يقول: "إن لقب (امرأة) أو زوجة كان يمنح أيضاً للمخطوبات" ويستدل على ذلك بقول الكتاب "إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل، فوجدتها رجلاً في المدينة واضطجع معها، فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وأرجمواهما بالحجارة حتى يموتا. الفتاة من أجل أنّها لم تصرخ في المدينة، والرجل من أجل أنّه أدلّ امرأة صاحبه" (تك ٢٣: ٢٢-٢٤) وأيضاً "ومن هو الرجل

الذي خطب امرأة ولم يأخذها؟ ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت في الحرب فيأخذها رجل آخر" (تك ٢٠: ٧) وهنا استخدم الكتاب كلمة امرأة عن العذراء المخطوبة، فكلمة امرأة لا تدل على الزواج وإنما على الأنوثة وحواء هي أول من سميت امرأة لأنها من امرئ أخذت (تك ٢: ٢٣) لا لأنها مارست علاقة زواج مع آدم، وسميت حواء لأنها أم لكل حي (تك ٣: ٢٠).

إذن؛ فكلمة امرأة تدل على خلقها وأنوثتها، وكلمة حواء تدل على أمومتها.

ودليل على أن كلمة امرأة بالنسبة للعدراء كانت تدل على خطوبتها وليس زواجها، هو قول القديس لوقا البشير "فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لَكُونِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، لِيُكَتِّبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى" (لو ٢: ٤-٥). هذا يعني أن عبارة "لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك" معناها خطيبتك. فمريم قد دُعيت في الكتاب المقدس امرأة ليوسف ليس لأنها قد فقدت بتوليها، حاشا. فالكتاب يشهد أنه لم يعرفها، وإنما لسبيين:

(١) لأن الخطيئة حسب ناموس موسى تدعى امرأة، فهذا هو التعبير المألوف عند اليهود، بل الأنثى كانت تدعى امرأة، بدليل أن حواء عقب خلقها مباشرة دُعيت امرأة، قبل الخطيئة والطرد من الجنة والإنجاب.

(٢) لكي لا يُشتبه في أمر حبلاها فلا يرميها اليهود، إذ أنها قد حبلى وهي ليست امرأة لرجل، لذلك عبارة "امرأته" استخدمت قبل الحمل وأثناءه.

ولهذا نرى أن الكتاب المقدس بعد الولادة لا يدعوها امرأة ليوسف، وإنما قال "قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ" (مت ١٣: ٢) وفي عودته من مصر قال له "قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ" (مت ٢٠: ٢). فنذكر أن علاقة القديس يوسف مع العدراء مريم أصبحت من خلال ابنها الإلهي، وفعل هكذا يوسف في السفر إلى مصر وفي الرجوع "فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ" (مت ٢: ١٤، ٢١) ولم يستخدم عبارة امرأته، فعبارة "امرأته" لم يستخدمها الوحي الإلهي أبداً بعد ميلاد الرب يسوع، لا بالنسبة إلى كلام الملاك مع يوسف، ولا بالنسبة إلى ما فعله يوسف، ولا بالنسبة إلى المحوس الذين "رَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ" (مت ١١: ٢) ولا بالنسبة إلى الرعاة الذين "وَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمِدْوَدِ" (لو ١٦: ٢). وقد دعاها يسوع "امرأة" (يو ٤: ٢) و(يو ١٩: ٢٦) لتكريمها وتعظيمها، "لأن كلمة امرأة يومئذ كانت اصطلاحاً في اللغة المألوفة يستعمل للدلالة على

الإحترام والعطف ... ويؤخذ من الآداب اليونانية القديمة أن السيدات ذوات المجد الرفيع كنّ يخاطبن بهذا اللفظ^(٢٠).

٧ عبارة إخوته.

ورد في الكتاب المقدس ذكر "أخوة الرب" في (مت ١٣: ٥٥-٥٦) و(مر ٦: ٣) وهم: يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا. ويقول البعض أن القديسة مريم العذراء لم تظل عذراء نقية بعد ولادة المسيح له المجد، لأن للسيد المسيح أخوة كما أوضح لنا ذلك كل من متى ومرقس، وسنرى بنعمة الرب يسوع في من يكونون (أخوة الرب) هؤلاء من خلال الكتاب المقدس ثم من جهة الكنيسة والتاريخ، لكن قبل ذلك سنطرح التّظريات التي ظهرت عبر التاريخ لتفسير "أخوة الرب" المذكورين وهي ثلاثة نظريات:

(١) **نظرية هلفيديوس (٣٨٠)** الذي أخذ بالتفسير الحرفي دون الاعتبارات الأخرى واعتبر "أخوة الرب" هم أخوة يسوع بالجسد. دانت الكنيسة هذه التّظرية، لأنها مخالفة لتقليدها الحي، فدائماً وأبداً آمنت الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية بتولية العذراء مريم. هذه الشهادة الحيّة أقوى من كل فذلكات التفسير الحر.

(٢) **نظرية ابيفانيوس (٣٨٢)** أسقف قبرص الذي بنى فرضيته على إنجيل يعقوب الأبوكريفي (المنحول) في القول بأن أخوة الرب كانوا أبناء يوسف من زواج سابق لا أبناء مريم، وبالتالي دُعي أخوة الرب هكذا لأنهم كانوا أنصاف أخوة ليسوع من جهة الأب. ولم تلقى هذه التّظرية قبولاً لأنها مبنية على كتاب باطني (أبوكريفي) ألا وهو إنجيل يعقوب الذي لم تعترف به الكنيسة ولم تقرر بقانونيته، وهناك كتب أبوكريفية أخرى قد ذكرت أن أخوة الرب هم أبناء يوسف مثل إنجيل العبرانيين وإنجيل بطرس وكلاهما أيضاً قد رفضته الكنيسة. ولكن بعض الآباء والقديسين قد أخذوا بهذه التّظرية في الكنيسة الشرقية. كالقديس أبيفانيوس، والقديس نكتاريوس أسقف المدن الخمسة، وغيرهم من الآباء.

(٢٠) انظر: مجلة الشرق والغرب، سنة ١٩٣١م، العدد ٦، صفحة ١٦٩.

٣) **نظرية ايرونيروس (جيروم)** الذي افترض أن أم أخوة الرب هي مريم زوجة كلوباس وأنها هي نفسها أخت العذراء مريم مفترضاً بالتالي أن مريم ويوسف معاً بقيا بتولين. وتبقى



هذه النظرية هي الأكثر قبولاً لما فيها من شواهد كتابية وتاريخية أيضاً بحسب بعض المؤرخين. وقد تبنت الكنيسة الغربية هذه النظرية ووافقتها الكثير من لاهوتيي الشرق أيضاً. وهي ما سنوضحه بشرحنا الآتي.

بالواقع لم يذكر العهد الجديد قط أن "أخوة الرب" هم أبناء مريم أو يوسف ولم يذكر أبداً أن مريم كانت أمهم أو أنهم قد كانوا أولادها أو أبنائها. فكلية "أخ" أو "أخت" في التعبير اليهودي

وتحت تأثير البيئة السامية القديمة كانت تدل على الأخ ابن الأب أو الأم أو كليهما، وأيضاً تدل على القرابة الشديدة كقرابة الدم، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

- ابرام (ابراهيم) ولوط:

كان لوط ابن أخ ابرام "ابن هاران أخيه" (تك ١١: ٣١) ومع ذلك يقول الكتاب عن سبي لوط مع أهل سدوم "فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَامُ، أَنَّ أَخَاهُ سُبِيَ جَرَّ غِلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّينَ..." (تك ١٤: ١٤) فاعتبر أن لوطاً أخوه مع أنه ابن أخيه، ولكنها القرابة الشديدة. وكذلك قول ابراهيم لابن أخيه لوط "...لَا تَكُنْ مُخَاصِمَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ رُعَاتِي وَرُعَاتِكَ، لِأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ" (تك ١٣: ٨).

- وما قيل عن أخوة بين يعقوب وخاله لابان:

يقول الكتاب عن مقابلة يعقوب وراحيل "فَكَانَ لَمَّا أَبْصَرَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ بِنْتَ لَابَانَ خَالِهِ، وَغَنَمَ لَابَانَ خَالِهِ، أَنَّ يَعْقُوبَ تَقَدَّمَ وَدَخَرَ الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبُئْرِ وَسَقَى غَنَمَ لَابَانَ خَالِهِ.

وَقَبْلَ يَعْقُوبَ رَاحِيلَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَبَكَى. وَأَخْبَرَ يَعْقُوبَ رَاحِيلَ أَنَّهُ أَخُو أَبِيهَا، وَأَنَّهُ ابْنُ رِفْقَةَ، فَرَكَضَتْ وَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا" (تك ١٠: ١٢) مع أن أباهما هو خاله، وقد تكررت عبارة خاله في هذا النص مرّات كثيرة. وهنا استعملت كلمة أخ للدلالة على القرابة الشديدة.

وبنفس الأسلوب تكلم لابان مع يعقوب لما سأله عن أجرته، إذ قال له "أَلَا نَتَّكَ أَخِي تَخْدُمُنِي مَجَّانًا؟ أَخْبِرْنِي مَا أَجْرُكَ" (تك ٢٩: ١٥) وهكذا قال لابان عن يعقوب أنه أخوه مع أنه ابن أخته.

- وأيضاً ما ذكره الكتاب في أخوة بنات أليعازر وبنو قيس:

فيقول الكتاب بعد موت أليعازر "وَمَاتَ أَلِيعَازَرُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَنُونَ بِلَ بَنَاتٍ، فَأَخَذَهُنَّ بَنُو قَيْسَ إِخْوَتُهُنَّ" (١ أخ ٢٣: ٢٢) أي تزوجهن.

وبعد أن رأينا أن كلمة "أخ أو أخت" قد استعملت بالكتاب لغير أخوة الجسد (أبناء الأب والأم) فمن هم يا ترى أخوة يسوع؟ إنهم أولاد خالته مريم (التي دعيت أختاً للعدراء) وعمه كلوبا "حلفى" الذي هو شقيق يوسف خطيب العدراء بحسب ما روى القديس أيفانيوس أسقف سلامينا في قبرص نقلاً عن هيجسبوس من آباء القرن الثاني (من كتاب الرد على الهرطقات ٧: ٧٨)، وقد اقتبس منه كذلك المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري وذكر ذلك في كتابه (تاريخ الكنيسة، الجزء الثالث، فقرة ١١) وهذا ما سأوضحه بهذه الدراسة.

فكما ذكرنا سابقاً فإن أخوة يسوع لم يوصفوا قط بأنهم أولاد مريم العدراء أو بناتها، كما لم يذكر ولادة أو موت أي واحد منهم قبل موت السيد المسيح له كل المجد.

والآن لندرس الآيات التالية بإمعان:

"أَلَيْسَ هَذَا هُوَ النَّجَّارَ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَخُو يَعْقُوبَ وَيُوسَى وَيَهُوذَا وَسَمْعَانَ؟ أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ هَهُنَا عِنْدَنَا؟" (مر ٦: ٣).

"وَكَانَتْ أَيْضًا نِسَاءٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ، بَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ، وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ وَيُوسَى، وَسَالُومَةُ" (مر ١٥: ٤٠) ويسمى هذا يعقوب الصغير لتمييزه عن يعقوب بن زبدي

الكبير، ويدعى أيضاً يعقوب بن حلفى (مت ١٠: ٣) وكان من الرسل كما ورد في شهادة بولس الرسول "وَلَكِنِّي لَمْ أَرْ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ" (غل ١٩: ١) والقديس متى يذكر المريمات عند الصليب فيقول "وَكَانَتْ هُنَاكَ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ، وَهُنَّ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَ يَسُوعَ مِنَ الْجَلِيلِ يَخْدِمْنَهُ، وَيَبْنِيْنَ مَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةَ، وَمَرْيَمَ أُمَّ يَعْقُوبَ وَيُوسَى، وَأُمَّ ابْنِي زَبْدِي" (مت ٢٧: ٥٥-٥٦).

فمن هي مريم أم يعقوب ويوسي هذه ؟ هل هي مريم العذراء ؟ ألا يجب أن تسمى مريم أم يسوع ويعقوب ويوسي ؟ باعتبار أن يسوع هو ابنها البكر والشخصية الذي تتمحور حوله كل هذه الأحداث، وهل يعقل أن العذراء أنجبت كل هذه المجموعة الكبيرة من الأبناء والبنات؟!

إنها مريم زوجة كلوبا أو حلفى، التي قال عنها يوحنا الحبيب "وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ، أُمُّهُ، وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمَ زَوْجَةِ كُلُوبَا، وَمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةَ" (يو ١٩: ٢٥). هنا ميّزت الآية بين أم يسوع وأخت أم يسوع مريم زوجة كلوبا، ونرى بوضوح أن عدد المريمات عند الصليب ثلاثة، مريم العذراء، ومريم زوجة كلوبا، ومريم المجدلية. وكما نعلم أن مريم زوجة كلوبا قد دعيت في إنجيل يوحنا أخت أم يسوع (العذراء مريم) ولكن لا نجزم إن كانت أختها بالحقيقة من أبويها (كما يقول البعض) أم دعيت كذلك بسبب قرابتها للعذراء مريم (كما يقول البعض الآخر).

ولنقارن الآن هذه الآيات حتى نستدل في من هي "مريم زوجة كلوبا":

"وَكَانَتْ هُنَاكَ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ، وَهُنَّ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَ يَسُوعَ مِنَ الْجَلِيلِ يَخْدِمْنَهُ، وَيَبْنِيْنَ مَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةَ، وَمَرْيَمَ أُمَّ يَعْقُوبَ وَيُوسَى، وَأُمَّ ابْنِي زَبْدِي" (مت ٢٧: ٥٥-٥٦)

"وَكَانَتْ مَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةَ وَمَرْيَمَ أُمَّ يُوسَى تَنْظُرَانِ أَيْنَ وُضِعَ" (مر ١٥: ٤٧) هنا تدعى مريم أم يوسي. "وَبَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ، اشْتَرَتْ مَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةَ وَمَرْيَمَ أُمَّ يَعْقُوبَ وَسَالُومَةَ، حَنُوطًا لِيَأْتِيْنَ وَيَدْهَنُهُ" (مر ١٦: ١) هنا تدعى مريم أم يعقوب.

ومن الآيات الماضية يتّضح أن مريم أم يعقوب ويوسي كانت واقفة مع مريم المجدلية عند الصليب، وأيضاً ذهبتا لينظران أين وضع وأيضاً أحضرتا حنوطاً ليدفنه. وبالمقارنة مع (يو ١٩: ٢٥) نرى أنهما كانتا أيضاً واقفتين عند الصليب مع مريم أمه "... أمّه، وأُختُ أمّه مَريَمُ زَوْجُهُ كَلُوبًا، وَمَريَمُ المَجْدَلِيَّةُ".

ولنقارن الآن قائمتي الأسماء في الروايتين بعد تغيير ترتيب الأسماء في كل قائمة:

مرقس: سالومة - مريم المجدلية - مريم أم يعقوب ويوسي.

متى: أم ابني زبدي - مريم المجدلية - مريم أم يعقوب ويوسي (= مريم الأخرى).

إن المقارنة بين القوائم تقودنا إلى الاستنتاج بأن مريم أم يعقوب ويوسي هي نفسها مريم الأخرى، وأن سالومة هي نفسها أم ابني زبدي، أي الرّسولين يعقوب ويوحنا.

لوقا لم يذكر لنا أسماء النساء اللواتي كن ينظرن واقعة الصلب، واكتفى بالقول: "وَكَانَ جَمِيعُ مَعَارِفِهِ، وَنِسَاءُ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَأَقْفَيْنَ مِنْ بَعِيدٍ يَنْظُرُونَ ذَلِكَ" (لوقا ٢٣: ٤٩).

أما يوحنا فيقدم لنا قائمة جديدة بأسماء النسوة حيث يقول: "وكانت واقفات عند صليب يسوع: أمّه، وأُختُ أمّه مَريَمُ زوجة كَلُوبًا، ومَريَمُ المَجْدَلِيَّةُ." (يوحنا ١٩: ٢٥). إن قائمة يوحنا هذه قد تبدو لأول وهلة مختلفة تماماً عن قائمة مرقس ومتى، إلا أننا بعد المقارنة وإمعان النظر سنجد أنها لا تختلف إلا في إحلال أم يسوع (العذراء) محل سالومة (أم ابني زبدي)، لأن زوجة كلوبا المدعوة أيضاً مريم هي نفسها مريم الأخرى أم يعقوب ويوسي، على ما تبينه المقارنة التالية:

مرقس: سالومة - مريم المجدلية - مريم أم يعقوب ويوسي.

متى: أم ابني زبدي - مريم المجدلية - مريم أم يعقوب ويوسي (الأخرى).

يوحنا: أم يسوع - مريم المجدلية - مريم زوجة كلوبا (أخت أم يسوع).

وكما نلاحظ فقد حلّت أم يسوع (العذراء) في قائمة يوحنا محل سالومة أم ابني زبدي، وبقيت مريم الأخرى أم يعقوب ويوسي التي عرّفها لنا بأنها أخت أم يسوع زوجة كلوبا.

إذن؛ مريم أم يعقوب ويوسي وبقية أخوة يسوع هي نفسها مريم زوجة كلوبا (حلفي)، وكما نعلم أن أخوة الرب الذين ذكروا هو يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا (مت ١٣: ٥٥)، فإن أول أخوين من لائحة أخوة الرب هما دائماً يعقوب ويوسي، وكوننا لا نعرف في العهد الجديد أي أخوين باسم يعقوب ويوسي سوى أول أخوين من "أخوة الرب" فمن المؤكد أن مريم أم يعقوب ويوسي هي أم أخوة الرب وبالنسبة للأخوين الآخرين فنرى وضوح العلاقة بينهم في هذه الآيات:

é "مَتَّى وَتُومَا. يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى وَسِمْعَانُ الَّذِي يُدْعَى الْغُيُورَ. يَهُوذَا أَخَا يَعْقُوبُ" (لو ١٥: ١٦-١٦)

é "يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى، وَلَبَّائُسُ الْمُلَقَّبُ تَدَّائُسُ" (مت ١٠: ٣) يهوذا أخا يعقوب هنا اسمه تداوس.

é "يَهُوذَا، عَبْدُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَخُو يَعْقُوبَ، إِلَى الْمَدْعُوتِينَ الْمُقَدَّسِينَ فِي اللَّهِ الْآبِ، وَالْمَحْفُوظِينَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (يه ١) ونلاحظ أنه لم يقل يهوذا أخو يسوع ويعقوب بل عبد يسوع وأخو يعقوب!

é "... وَيَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى وَسِمْعَانُ الْغُيُورُ وَيَهُوذَا أَخُو يَعْقُوبُ" (أع ١٣: ١٣).

é "أَلَيْسَ هَذَا هُوَ النَّجَّارُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَخُو يَعْقُوبَ وَيُوسَى وَيَهُوذَا وَسِمْعَانَ؟" (مر ٣: ٦).

ومما سبق أعلاه يتبين مدى العلاقة بين الأخوة، لذلك فأخوة يسوع هؤلاء هم أولاد حالته مريم زوجة كلوبا (حلفي) أم يعقوب ويوسي وباقي الأخوة.

أما عن الخلاف بين أسم حلفي واسم كلوبا. فكلوبا (كلوباس) هو الإسم اليوناني لحلفي الإسم الآرامي، وكما يقول القديس جيروم "من عادة الكتاب أن يحمل الشخص الواحد أكثر من اسم" فرعوثيل حمو موسى (حز ٢: ١٨)، يدعى أيضاً يثرون (خر ٤: ١٨) و يهوذا الغيور دعي أيضاً تداوس (مت ١٠: ٣) وجدعون يدعى يربعل (قض ٦: ٣٢) وسمعان بن يونا دعي صفا (يو ١: ٤٢) وكذلك متى العشار (مت ١٠: ٣) يدعى لاوي في (مر ٢: ١٤)، ويوحنا دعي مرقس

(أع ١٢:١٢) وشاول دعي بولس (أع ١٣:٩) وتوما دعي التوأم (يو ١١:١٦) ويوسف قد دعي برسبا الملقب يوستس (البار) (أع ٢٣:٢٣).

فكلوباس وحلفى هما اسمان لشخص واحد، وقد ذكر المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري أن كلوباس ويوسف النجار كانا أخوين، أي أن "أخوة الرب" هم أولاد عم يسوع (التاريخ الكنسي ١١:٣) ويذكر يوسابيوس أيضاً أن سمعان أخا الرب هو ابن كلوباس. وقد نقل ذلك عن هيجسبوس *Hegesippus* (منتصف القرن الثاني) الذي أكّد أن كلوبس هو أخو يوسف خطيب القديسة مريم، وقد جمع في مؤلف له ما استطاع جمعه واستقصاه عن المسيحيين الأوائل، كما أكد أيضاً يوسابيوس نقلاً عن هيجسبوس بأن سمعان بن كلوبا قد استلم قيادة كنيسة أورشليم عام ٦٢م^(٢١)، وبذلك نحصل على قائمة بأولاد كلوبا عم يسوع وزوجته مريم تضم كلاً من: يعقوب ويوسي وسمعان، وهؤلاء أولاد عم يسوع وأولاد خالته، أي أخوته بالمفهوم اليهودي لذلك الزمان بسبب شدة القرابة بينهم وبين الرب يسوع المسيح.

وعن تولي سمعان أخو الرب أمور الكنيسة الأورشليمية فقد روى المؤرخ يوسيفوس أنّ المجلس اليهودي في عام ٦٢م اتهم يعقوب أخ يسوع (هكذا وردت تسميته في النص) بالهرطقة وحكم عليه بالموت رجماً بالحجارة^(٢٢). وقد أورد لنا يوسابيوس في تاريخه الكنسي نبذة مقتبسة عن هيجسبوس يتحدث فيها عن يعقوب. فقد كان نذيراً للرب من بطن أمه، لم يأكل اللحم ولم يشرب الخمر ولم يخلق شعر رأسه ولم يضمخ جسده بالعطور. وكان يصلي من أجل غفران خطايا الشعب وعندما حكم عليه اليهود بالموت رجماً ركع على ركبتيه وطلب من الرب أن يغفر لقاتليه. وبعد موت يعقوب اجتمع الرسل وبقيّة التلاميذ واختاروا ابناً آخر لكلوبا أخ يوسف

(٢١) راجع لائحة أساقفة-بطاركة أورشليم من الموقع الإلكتروني للبطريركية الأورشليمية:

http://www.jerusalem-patriarchate.info/ar/patriarx_iero.htm

(٢٢) Hershel Shanks, Christianity and Rabbinic Judaism, *Biblical Archaeology Society*, Washington . D.C. 1992, P. 13 , 309.

يدعى سمعان ليحل محل يعقوب. وقد عاش سمعان هذا حتى سن متأخرة وحكم عليه الرومان بالصلب نحو ١٠٦م في عهد الإمبراطور تراجان الذي حكم ما بين (٩٨ - ١١٧) (٢٣).

ملاحظات هامة حول موضوع "أخوة الرب".

(١) من غير المعقول أن يكون لمريم العذراء أم المسيح كل هؤلاء الأبناء، و يعهد بها الرب على الصليب إلى يوحنا تلميذه (يو ١٩: ٢٦-٢٧) وماذا يعني تعبير "من تلك الساعة" في اللغة؟ يعني من تلك الساعة وحتى رقادها قد اعتنى بها الرسول. فإذا كان لها أولاد فلا شك أنهم أولى بها من يوحنا الحبيب.

(٢) إن كان القديس يوحنا بسبب حبه للمسيح وحب المسيح له لم يكسر بتوليته بل كرّس بتوليته لحب المسيح والإنجيل، فهل العذراء القديسة مريم التي كرّست بتوليته على يد ملائكة وروح الله القدوس تكسر بتوليته لتلد بنين وبنات؟!.



(٣) نلاحظ في أسفار القديس يوسف والعذراء مريم في الذهاب إلى مصر والرجوع منها، لم يذكر اسم أي ابن لمريم غير "يسوع" فقد قال ملاك الرب ليوسف "خذ الصبي وأمه" (مت ٢: ١٤، ٢٠، ٢١).

(٤) وعندما كان يسوع ابن اثنتا عشر سنة، يقول معلمنا لوقا البشير: "وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ. وَبَعْدَمَا اكْمَلُوا أَيَّامَ بَقِي

عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا. وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ الرُّفَقَةِ، ذَهَبَا مَسِيرَةَ يَوْمٍ، وَكَانَا يَطْلُبَانِيهِ بَيْنَ الْأَقْرِبَاءِ وَالْمَعَارِفِ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِيهِ. وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ، جَالِسًا فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ، يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ يَهْتَوْنَ مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ. فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ

أُمُّهُ: «يَا بُنَيَّ، لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذِّبِينَ!» (لو ٢: ٤٢ - ٤٨). فأين هم أخوته هنا؟ فنلاحظ أنه بعد ولادة المسيح وحتى صار عمره ١٢ سنة لم يكن لمریم أو ليوسف أولاد غير يسوع المسيح، وإلاّ لكانوا قد اصطحبوهم معهم أيضاً عند سفرهم لقضاء العيد وعند رجوعهم إلى أورشليم ليجثوا عنه وكانت مریم قالت له "هوذا أبوك وأنا وأخوتك كنّا نطلبك معذّبين" وليس من المعقول أن رجلاً يهودياً يمحّث متزوجاً من امرأة ليست عاقراً فترة اثنتي عشرة سنة (عمر يسوع في ذاك الوقت) دون أن ينبج منها ولدين أو ثلاثة على أقل تقدير.

(٥) لا توجد آية واحدة تذكر أن أحد المدعويين إخوة يسوع ولدتهم مریم العذراء أو أنها دعيت أمّاً له أو أن أباه هو القديس يوسف خطيب العذراء.

وبهذا يتبيّن بعد هذه الدراسة المستفيضة من هم أخوة الرّب وما علاقتهم بيسوع.

وبعد أن قمنا بنعمة الرب بالرد على الآراء الأربعة التي يتبناها البعض ليرفضوا دوام بتولية العذراء (راجع صفحة ٢٩)، يجب أن نعلم ماذا يقول الكتاب المقدس والآباء القديسون عن دوام بتولية العذراء:

٧ الكتاب المقدس:

هناك نص كتابي واضح في نبوة حزقيال يؤيد دوام بتولية العذراء. لقد رأى حزقيال النبي باباً مغلقاً في المشرق وقال له الرب "هَذَا الْبَابُ يَكُونُ مُغْلَقًا، لَا يُفْتَحُ وَلَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ دَخَلَ مِنْهُ فَيَكُونُ مُغْلَقًا" (حز ٤٤: ٢) إنه رحم العذراء الذي دخل منه الرب، فظلّ مغلقاً لم يدخله ابن آخر لها.

وقد فسّر المعبوط أغسطينوس هذا النص وقال:

- ما معنى "باب مغلق في بيت مقدّس" إلاّ أن القديسة مریم تكون على الدوام بلا دنس، مالكة لخاتم بتوليتها.

- وما معنى قوله "لا يدخل منه انسان" إلا أن القديس يوسف لم يعرفها قط.
- وما معنى "لأن الرب إله اسرائيل دخل منه" إلا أن الروح القدس حل فيه.
- وما معنى "هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح" إلا أن مريم قد كانت قبل الولادة عذراء، وبقيت بعد الولادة عذراء أيضاً.

وقد يسأل سائل كيف أن القديسة مريم بقيت عذراءً دون أن تفقد بتوليبتها بعد ولادتها للرب يسوع؟ فأجيب، وكيف للرب يسوع أن يدخل العلية والأبواب مغلقة دون أن تفتح (يو ٢٠: ١٩، ٢٦)؟!

هذا يبقى من خصائص الإله كسر لا ينطق به، فالعذراء كانت بتولاً قبل وأثناء الحمل بالرب يسوع وأيضاً بعد ولادته بقيت عذراءً ولم تتأثر بتوليبتها تماماً كالعليقة التي رآها موسى والنار الإلهية تشتعل فيها دون أن تحترق (خر ٣: ٣).

ويقول إشعياء النبي "هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّاثُئِيلَ»" (اش ٧: ١٤) وهنا يؤكد اشعياء لقب العذراء بإضافة أل التعريف، ولم ترد بصيغة النكرة عذراء تحبل وتلد بل "العذراء"، فهي العذراء الدائمة البتولية حتى بعد ولادتها للمسيح.

وأيضاً ما قاله سليمان الحكيم في سفر النشيد "أُخْتِي الْعُرْسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ، عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ، يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ" (نش ٤: ١٢).

وبهذا اللقب "العروس" تمدح العذراء بالكنيسة الأرثوذكسية ويقال لها: "افرحي يا عروس لا عروس لها"، وقد قال القديس ايرونيμος (جيروم) في هذه الآية من نشيد الأنشاد "أنه كما أن قبر المسيح لم يدخله شخص آخر هكذا مستودع مريم لن يلد ولداً آخر".

٧ **أما عن آباء الكنيسة:** فنكتفي بآباء القرون الأربعة الأولى وتعليمهم حول دوام بتولية العذراء:

آباء القرن الأول:

- فيقول القديس أغناطيوس الأنطاكي أسقف أنطاكية في رسالته إلى أهل أفسس "إن عذراوية مريم ومن ولد منها هي من الأسرار والغوامض التي لا ينطق بها في كل العالم، لقد صنع الله ذلك سرّاً" (Wells, OH, 19:1)، وبكلامه هذا كان يعارض جماعة من الناس يدعون الدوسيتيين^(٢٤) فتحدى أغناطيوس هذه الهرطقة باصداره "ملخص الحقائق الخاصة بالمسيح"، ومن ضمن تلك الحقائق كان "الاعتقاد بدوام عذراوية القديسة مريم كأحد الأسرار التي لا ينطق بها"^(٢٥)، وأغناطيوس استمد تعليمه من يوحنا الرسول فقد كان تلميذاً له، وقد ذكر المؤرخ يوسابيوس القيصري أن القديس بطرس الرسول نفسه قد أقام أغناطيوس أسقفاً على كرسي أنطاكية.

آباء القرن الثاني:

- يقول القديس إيريناؤس أسقف ليون "الذي هو كلمة الله، ولد حقاً من مريم التي كانت وحتى الآن عذراء" (Against HERxxi9).
- القديس يوستينوس الشهيد "يصف مريم دائماً بالعذراء" (A.Apol.33).
- القديس اكليمندوس الإسكندري يعترض على من يقول أنها صارت امرأة ويقول أن القديسة مريم استمرت عذراء (Stromata7:16).

(٢٤) الدوسيتيين: هم جماعة كانوا ينكرون طبيعة المسيح البشرية وإنه اجتاز فعلاً ولادة بشرية وعانى من الآلام. بالنسبة لهم يسوع كان قدوساً لكن ليس انساناً.

(٢٥) قد استشهد الكاتب المعمداني الشهير جوش ماكديويل بما ذكره اغناطيوس الأنطاكي نصاً في كتابه (برهان جديد يتطلب قراراً) فقرة "شهادة آباء الكنيسة الأولى" (ص ٢٨٤-٢٨٥).

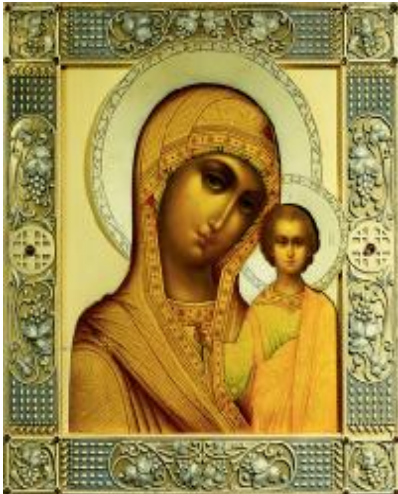
آباء القرن الثالث:

- يقول العلامة العظيم أوريجانوس: "لقد تسلمنا تقليداً وهو أن مريم ذهبت بعدما أنجبت المخلص إلى الهيكل، لتتعبد ووقفت في الموضع المخصص للعدراى، فحاول الذين يعرفون أنها أنجبت طفلاً طردها من الموضع، ولكن زكريا أجابهم أنها مستحقة المكوث في موضع العدراى، إذ لا تزال عدراء" (Com. In Matt. 25).
- القديس ابيفانيوس: "القديسة العدراء دائماً" (The Faith of Early F. Vol. 2p.70)

آباء القرن الرابع:

- يقول القديس أثناسيوس الكبير "لقد أخذ (الرب) جسداً إنسانياً حقيقياً من مريم الدائمة البتولية" (Contra Anianos 2:70). ويقول أيضاً "العدراء إلى الأبد" (Ag. Arians 2:10).
- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم "مع العلم أن عدراوية مريم كانت سرّاً مخفياً عن الشيطان مثل أمر صلبه (يسوع)".

وهذا غيظ من فيض راجع أقوال القديس جيروم ويوسابيوس والقديسين غريغوريوس



النيسى وأمبروسيوس والقديس يوحنا الدمشقي وغيرهم.

وما لا يعلمه الكثيرون أن المؤسسين الأوائل لحركات الإصلاح أمثال "مارتن لوثر" و"جون كالفن" و"زوينجلي" كانوا يقرّون بدوام بتولية العدراء مريم ولم ينادوا بعكس ذلك كما هو دارج اليوم عند أتباعهم، لا بل حاول "زوينجلي" أن يبرهن دوام بتولية مريم من الكتاب المقدس بناءً على ما ورد في سفر حزقيال ٢:٤٤ كما ذكرنا سابقاً.

{ عقيدة الحبل بلا دنس ورفضها أرثوذكسياً }

تعلّم الكنيسة الكاثوليكية بعقيدة "الحبل بلا دنس" والتي تقضي بأن العذراء مريم قد حفظت بريئة من الخطيئة الأصلية^(٢٦) بفعل النعمة الإلهية منذ اللحظة الأولى للحبل بها.

واليوم نرى أن الكثيرين يسيئون فهم هذا المصطلح "الحبل بلا دنس" فيعتقدون أنه يشير إلى الحبل بالمسيح في رحم العذراء مريم بدون تدخل أب بشري، ولكن هذا يسمى "الميلاد العذراوي". وآخرون يعتقدون أن القديسة مريم قد حبلت بها أمّها بقوة الروح القدس كما في حالة الحبل بالمسيح ولكن هذا أيضاً ليس صحيحاً.

"فالحبل بلا دنس" لا يشير لا إلى الحبل بيسوع ولا إلى حبل حنة بالقديسة مريم بالروح القدس وإنما "إلى حفظ العذراء مريم معصومة من كل دنس الخطيئة الأصلية منذ اللحظة الأولى للحبل بها، وذلك بامتياز ونعمة خاصة من الله القدير بالنظر إلى استحقاقات يسوع المسيح فادي الجنس البشري".

وقد أعلنت هذه العقيدة في ٨ ديسمبر عام ١٨٥٤م في الدستور الرسولي (*Ineffabilis Deus*) على يد البابا بيوس التاسع الذي أعتلى سدة كرسي روما لمدة ٣٢ عاماً (١٨٤٦-١٨٧٨)، وإليك المقطع المتعلق بها في الموسوعة الكاثوليكية *Catholic Encyclopedia* :

- "في الدستور *Ineffabilis Deus* في الثامن من كانون الأول، ١٨٥٤م أعلن البابا بيوس التاسع وعرّف أن المعبودة العذراء مريم "في أول لحظة من حبلها، وبميزة وحيدة ونعمة ممنوحة من الله، بسبب فضائل يسوع المسيح، مخلص الجنس البشري، قد حُفظت معفاة من كل لطخة من الخطيئة الأصلية". إن موضوع هذه المناعة ضد الخطيئة الأصلية

(٢٦) لا تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بأن الخطيئة الأصلية تورث، بل نرث نتائج الخطيئة الجديّة وهي طبيعة الفساد والموت.

هو شخص مريم في لحظة خلق نفسها ونفخها في جسدها. إن تعبير الحبل لا يعني الحبل الفاعل أو المولّد من قبل والديها. لقد شكّل جسدها في رحم والدتها، وكان للأب النصيب العادي في تشكيله. المسألة لا تتعلق بطهارة الفعل المولّد لوالديها. ولا يتعلق بالحبل المنفعل بصورة مطلقة وببساطة (*conceptio seminis carnis*, *inchoata*)، والذي بحسب نظام الطبيعة، يسبق نفخ النفس العاقلة. إن الشخص قد حُبل به حقاً عندما خُلقت النفس ونُفخت في الجسد. لقد حُفظت مريم معفاة من كل لطخة الخطيئة الأصلية في أول لحظة من إحيائها، وأُعطيت لها نعمة مقدّسة قبل أن يمكن للخطيئة أن تفعل في نفسها. إن الجوهر الفعّال الأساسي للخطيئة الأصلية لم يُزل من نفسها، كما يُزال من آخرين بالمعمودية؛ لقد تم استثناءه. إن حالة القداسة الأصلية والبراءة والعدالة، المعاكسة للخطيئة الأصلية، قد مُنحت لها، وبهذه العطية فإن كل لطخة وخطأ، كل العواطف الفاسدة، والضعفات، المتعلقة بصورة أساسية في نفسها بالخطيئة الأصلية، قد تم استثناءها. لكنها لم تُصير معفاة من عقوبات آدم الزمنية: من الحزن، الضعفات الجسدية، والموت. المناعة ضد الخطيئة الأصلية قد أُعطيت إلى مريم باستثناء وحيد من الناموس الكوني بواسطة فضائل المسيح نفسها، والتي بها يُغسل أناسٌ آخرون من الخطيئة بالمعمودية. لقد احتاجت مريم إلى المخلّص الفادي للحصول على هذا الاستثناء، وللانعتاق من الضرورة الكونية ومن الدّين بسبب خضوعها للخطيئة الأصلية. إن شخص مريم، كنتيجة لأصلها من آدم، كان يجب أن يكون خاضعاً للخطيئة. لكن لكونها حواء الجديدة التي كانت ستكون أم آدم الجديد، فقد سُحبت من الناموس العام للخطيئة الأصلية بمشورة الله الأزلية وبفضائل المسيح. إن فداءها كان تحفة حكمة المسيح الفادية بالذات. إنه فادٍ يدفع الدّين أعظم من الذي يدفعه بعد أن يقع على المديون. هكذا هو معنى تعبير "الحبل بلا دنس".

وبعد أن فهمنا شرح عقيدة الحبل بلا دنس هذه من الموسوعة الكاثوليكية، يجب أن نلقي الضوء على جذورها التاريخية. فلهذه العقيدة جذور قديمة قبل أن تعلن كعقيدة على يد البابا بيوس التاسع، حيث أنها قد نشأت على يد ايليدفوس هانس أسقف طلطيلية باسبانيا وظلّت

محصورة بها حتى تناقلها كهنة ليون بفرنسا مما أثار عليهم سخط برناردوس أحد كبار معلّمي الكنيسة الغربية وقديسيها ودفعه إلى تعنيفهم تعنيفاً مرّاً. كما قد رفض هذه العقيدة إلى جانب برناردوس رهبان دير كلوني بباريس، وبعض أشهر اللاهوتيين الكاثوليك البارزين مثل بونافنتورا، وألبير الكبير، وتوما الأكويني، وكلّهم مطوّبون قديسين في الكنيسة الكاثوليكية. بينما أول المدافعون عن هذه العقيدة أمثال آدمير (١٠٦٠-١١٢٤) ودونس سكوت (١٢٦٠-١٣٠٨) لم يكونوا مطوّبين. فقد قال آدمير وهو تلميذ أنسلموس أسقف كانتبري "إذا كان باستطاعة حبة الكستناء أن تنمو تحت الشوك بدون أن تتأذى به، فالله اذن كان باستطاعته أن يجعل الحبل بالعدراء من والدين خاطئين بدون أن تكون هي نفسها ممسوسة بالخطيئة، يمكنه بالتأكيد أن يفعلها إذا كان قد أراده، فقد فعله" وأما عن دفاع دونس سكوت الراهب الفرنسيكاني عن الحبل بلا دنس فقد قال "هناك طريقتان تحقّق بهما فداء البشر: الطريقة العامة التي تشمل كل البشر، والطريقة الإستثنائية التي تميّزت بها مريم العذراء فافتدت استباقاً لاستحقاقات ابنها يسوع المسيح. (وهذا التحليل عينه هو الذي استخدمه البابا بيوس التاسع في صياغة عقيدة الحبل بلا دنس).

وقد كانت هذه العقيدة مثار جدل بين رهبان "الفرنسيسكان" ^(٢٧) (أتباع دونس سكوت) الذين جاهروا باعتناق مذهب كهنة ليون بالإيمان بالحبل بلا دنس وبين رهبان "الدومينيكان" ^(٢٨) (أتباع توما الأكويني) الذين وقفوا في وجوههم وحملوا عليهم حملة شعواء وقالوا أن والداها (العذراء) أنجباها بالطريقة الطبيعية كبقية البشر وأنكروا الحبل بلا دنس.

وقد مهّد البابا سيكستوس الرابع (١٤١٤-١٤٨٤م) وكان من رهبنة الفرنسيسكان لعقيدة الحبل بلا دنس بأن كلّف راهباً من الفرنسيسكان يدعى لينو باردي لوجاروليس بأن يضع طقس حبل حنة بلا دنس فوضعه خوفاً من رهبنة الدومينيكان التي عملت على مقاومة عقيدة الحبل بلا دنس في بداية ظهورها.

(٢٧) الفرنسيسكان: رهبنة كاثوليكية أسّسها الراهب "فرنسيسكو" سنة ١٢٢٦م.

(٢٨) الدومينيكان: رهبنة كاثوليكية أسّسها الراهب "دومينيكوس" الإسباني سنة ١٢٢١م.

وقد حدث في المجمع التريدينيني سنة ١٥٦٣م ان اختلف مندوبو البابا الثلاثة في الرأي

حول الحبل بالعذراء مريم بلا دنس كما يلي: (٢٩)



- مال الكاردينال دي مونتي للحبل بلا دنس.
- قاومها الكاردينال سنتا كروش.
- وأمّا الكاردينال بولي فلم يعلن عن رأيه.

وبقي الجدل قائماً حول هذه الفكرة حتى حسم

البابا بيوس التاسع الأمر باعلان "الحبل بلا دنس" كعقيدة عام ١٨٥٤م. وأشار البابا بيوس الثاني عشر الذي تسيد

كرسي روما ما بين (١٩٣٩-١٩٥٨م) إلى أن مريم أكّدت هذه العقيدة من خلال ما أعلنته بنفسها في ظهوراتها المتعدّدة، حيث جاء في أدبيّات الكنيسة البابوية أن السيدة العذراء قد ظهرت في ٢٧ تشرين الثاني عام ١٨٣٠م في كنيسة في شارع دوباك ١٤٠ في باريس وعلمت الأخت كاترين لابوري صلاةً تقول "يا مريم التي حبل بها بلا دنس صلّي لأجلنا نحن الملتجئين إليك". وفي الظهور السادس عشر للعذراء في لورد يوم الخميس ٢٥ آذار ١٨٥٨م سألت الطفلة برناديت السيّدة عن اسمها، مكرّرة السؤال ثلاث مرّات، ابتسمت فيها السيّدة وعندئذ امتلكت برناديت الشّجاعة لتسأل السيّدة عن اسمها للمرّة الرابعة! فأجابتها قائلة "أنا الحبل بلا دنس". هذا ما جعل هذه الظّهورات التي توليها الكنيسة الكاثوليكية أهمّية بالغة موضع شكوك الكنيسة الأرثوذكسية لأسباب عدّة سنعرضها تباعاً.

أولاً:

ترى الكنيسة الأرثوذكسية أن هذه العقيدة ظهرت نتيجة فهم خاطيء للخطيئة الأصلية فالكنيسة الكاثوليكية تستقي تعليمها عن الخطيئة الأصلية من اللاهوت الأوغسطيني حيث أن المغبوط أوغسطينوس في معرض دفاعه عن الإيمان المسيحي ضد هرطقة بيلاجيوس الذي يدّعي

(٢٩) انظر: موسوعة علم اللاهوت للعلامة القمص ميخائيل مينا، ص ٤٥١، الكتاب الرابع، الباب الثاني.

أن الإنسان يستطيع بقواه الخاصة الحصول على الخلاص، أكد أوغسطينوس ضرورة الخلاص بالمسيح، مركزاً على فساد الطبيعة البشرية بعد خطيئة آدم وحواء. فهذه الخطيئة بالنسبة لأوغسطينوس تنتقل بالوراثة عن طريق التناسل الجنسي إلى كل إنسان يولد من نسل آدم. وينتج عنها أن الإنسان يولد خاطئاً، بحيث أنه إن لم يعتمد لا يمكنه الحصول على الخلاص. كما ينتج أيضاً وراثته الخطيئة الأصلية انحراف إرادة الإنسان واستعبادها للشهوة. فكل إنسان يولد إذن خاطئاً ومستعبداً للشهوة، ويضيف أوغسطينوس نتيجة ثالثة هي أن الإنسان بخطيئة آدم وحواء صار مائئاً وفقد الخلود الذي كان الله قد زيّنه به عندما خلقه.

أمّا بشأن مريم العذراء، فيرى أوغسطينوس أن مريم العذراء قد تحرّرت كلياً، بنعمة خاصة من الخطيئة الأصلية، ولا سيما من الإستعباد للشهوة والخطيئة. وقد منحها الله هذه النعمة عندما ولدت، ولا يوضّح أوغسطينوس أي شيء بالنسبة إلى عدم الموت في تلك النعمة الخاصة، أي لا يتكلم عن نزاهة مريم العذراء عن الموت البشري الذي يختبره كل إنسان مولود في الخطيئة الأصلية.

ونتيجة لهذا الفهم الخاطئ عن الخطيئة الأصلية فقد اعتقدت الكنيسة الكاثوليكية "بالجبل بلا دنس" أي أن الله استثنى مريم من ذنب الخطيئة الأصلية الموروث بالتعريف الكاثوليكي، وذلك عندما تم الحبل بها من قبل أمها حنة. لأنه لو كانت مريم قد ورثت الخطيئة الأصلية وورثت الذنب معها، لما أمكن اختيارها لتحمل ابن الله المتجسّد، لأن طفلها سيكون في هذه الحالة، قد ورث منها الذنب نفسه ولصار تحت الدينونة الإلهية. ولكانت "فضائل" ذبيحته غير كافية للفداء أي لإرضاء العدالة الإلهية وإزالة الغضب الإلهي بالمفهوم الكاثوليكي.

فخلاصة هذا التعليم في الكنيسة الكاثوليكية أن الإنسان يولد مغضوب عليه من الله، وهو معاقب بجرمانه من معرفة الله في هذه الحياة، والرب يسوع المسيح قد أتى ليزيل هذا العقاب. وهكذا تمحى الخطيئة الأصلية بالمعمودية التي بحسب المفهوم الأوغسطيني يولد كل إنسان وهو حامل ذنب خطأ الأبوين الأولين.

بينما في اللاهوت الأرثوذكسي لا يرث الإنسان الخطيئة الأصلية، بل نتائجها وهي الفساد والموت، كما يخرج الجذر الفاسد ثماراً فاسدة. فالإنسان ليس معاقباً لكونه مسؤولاً عن خطيئة الأبوين الأولين آدم وحواء، بل هو مسؤول تجاه خطايا وحده. الله في الأرثوذكسية لا يعاقب الناس، بل يحزن على خطاياهم، وبسبب محبته لهم ربّ لهم خلاصهم وبذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به (يو ٣: ١٦) عكس الموقف الكاثوليكي الذي يبيّن الله كإله غاضب ينظر إلى كل إنسان أنه مد يده وأكل من شجرة الخير والشر لذلك صلب الرب يسوع المسيح ليطفىء غضب الله الآب، ويوافق البروتستانت الكاثوليك في هذا.

لذلك رفضت الكنيسة الأرثوذكسية هذه العقيدة كما رفضت الإعلان عنها من خلال ظهورات للعدراء متزامنة مع الفترة التي أعلن فيها الفاتيكان أن "الحبل بالعدراء بلا دنس" هو عقيدة موحاة وملزمة.

ثانياً:

عقيدة "الحبل بلا دنس" هذه مبنية على تحاليل عقلية بدون أساس في الوحي الإلهي، حيث أنه لا يوجد أي نص في الكتاب المقدس أو التقليد الرسولي أو آباء القرون الأولى يقول أن النعمة حلّت على حنة أم العذراء أثناء الحمل لتطهر العذراء من الخطيئة الأصلية. ويبرّر الكاثوليك إدعائهم أن في سلام الملاك لمريم "أيتها المنعم عليها" معنى واضحاً عن تجرّد مريم العذراء من الخطيئة الأصلية، وإنها وحدها لم يكن عندها دنس الخطيئة الأصلية. أي أن العذراء مريم مختارة بموجب القضاء والقدر لا بسبب برّها الذاتي فرغم أن الكنيسة الكاثوليكية تحارب القضاء والقدر لدى الكالفينية^(٣٠) إلا أنها تقع فيه ههنا. والكنيسة الأرثوذكسية ترى في المفهوم الكاثوليكي انتقاصاً وإهمالاً لدور مريم الذاتي في قداستها، إذ بعقيدتهم هذه يقدّسونها رغماً عنها، ودون دور لها في تلك القداسة، لجرّد أن الله "شاء" بينما هي قد استحققت أن تكون أمّاً للمسيح إذ يقول الكتاب "لَأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتَ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ" (لو ١: ٣٠) وأيضاً "لَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ

(٣٠) أتباع جون كالفن مؤسس الكنيسة الكالفينية، والمعمدانّيون اليوم يتبعون تعاليمه.

اتَّضَاعَ أَمَّتِهِ" (لو ١: ٤٨) وهذا يبرز دورها الذاتي في قداستها إذ وجدت نعمة عند الله الذي نظر إلى اتّضاعها فقدّسها.

ثالثاً:

وفقاً لهذه العقيدة، فإن الكنيسة الأرثوذكسية تطرح أسئلة لا يجيب عنها اللاهوت الكاثوليكي ومن أهمها:

(١) كيف يمكن أن تكون القديسة العذراء مريم محرّرة بإرادة إلهية من الخطيئة الأصلية، بينما هي مستمرة في حمل نتائج الخطيئة الأصلية "الموت" فهل تنقية الله وخلاصه ناقص؟ فبحسب هذه العقيدة لا يمكن أن تموت العذراء. حيث أن الموت في اللاهوت الأوغسطيني هو عقاب الخطيئة الأصلية، وكون العذراء قد حبل بها بلا دنس فقد أعفيت من الخطيئة الأصلية والذنب الموروث (بالتعبير الكاثوليكي) وبالتالي من نتائج سقوط آدم. فكيف يا ترى ماتت العذراء ونحن نعلم أن أجرّة الخطيئة هي الموت وهي لم تولد بالخطيئة؟.

(٢) لماذا قالت العذراء "تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي" (لو ١: ٤٦)؟ هل يعني هذا أن تجسّد المسيح الكلمة وفداؤه للبشر لم يشمل بخلاصه شخص مريم التي كانت مخلصّة مسبقاً قبل التجسد؟ بالطبع لا.

(٣) بأي طريقة خلصت العذراء قبل أن يصلب المسيح والكتاب يقول "وَيَدُونِ سَفْكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ" (عب ٩: ٢٢).

(٤) إذا كان ممكناً أن يخلص إنسان كالعذراء من الخطيئة الأصلية بدون تجسّد الرب وصلبه وموته وقيامته فلماذا لم يخلص الله البشر كلهم بهذه الطريقة؟ ما حاجته أن يخلي الله ذاته ويأخذ صورة العبد وأن يصلب ويموت؟!

(٥) لم يستثني الكتاب المقدس أحداً من الخطيئة حين قال "هَآنَذَا بِالْإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيئَةِ حَبَلْتُ بِي أُمِّي" (مز ٥١: ٥) وأيضاً "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيئَةُ

إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رو ٥: ١٢). فكل البشرية هي مولودة وارثة للطبيعة الساقطة ومحتاجة الخلاص بما فيهم القديسة العذراء مريم. فكيف تكون قد ولدت بلا دنس؟

رابعاً:

ترفض الكنيسة الأرثوذكسية هذه العقيدة لأنها تخالف شرح آباء الكنيسة لقول الملاك للعذراء "الروح القدس يحل عليك" فالقديس يوحنا الدمشقي فسّره بكلمة "يطهرُك" (المائة مقالة). وكتب القديس أناسيوس الكبير "إِنَّ الإله قد ولد انساناً من البتول اذ سبقت فتطهّرت بالروح القدس نفساً وجسداً لذلك قال لها الملاك الروح القدس يحل عليك". وورد عن كبريانوس (سيربريان) والقديس كيرلس الأورشليمي ما نصّه "ان البتول قد انحلت من الخطيئة الأصلية عند الحمل بالمسيح". وتوما الأكويني وبوسيبه الأسقف الفرنسي البابويان يوافقان الأرثوذكسيّة في عقيدتهما.

ولهذا تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية أن الروح القدس قد حلّ على العذراء وطهّرها من الخطيئة عند الحمل بالمسيح فالله لا يسكن الخطيئة، ولذلك الرب يسوع المسيح عندما ولد شابها في كل شيء إلا الخطيئة. فهو "حمل بلا عيب" وقدّوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة.

خامساً:

ترفض الكنيسة الأرثوذكسية هذه العقيدة لأنها جعلت العذراء مريم "الإستثناء الأعظم" للبشريّة، وليس "النموذج الأعظم". فهذه العقيدة تضع والدة الإله على حده بالنسبة للبشرية، وليس فقط في درجة نقاوتها، بل أيضاً في النوعية. فالقول بأنّ العذراء قد أعفيت من الخطيئة الأصلية هو مساوٍ للقول بأنها معفية من كونها بشرية. لاحظ أنه قد قيل في شرح العقيدة في الموسوعة الكاثوليكية أن العذراء قد أعفيت من كل لطخة من الخطيئة الأصلية قبل أن يمكن للخطيئة أن تفعل في نفسها (أي لم تقل إن الخطيئة الأصلية وجدت في مريم ومن ثم تمت إزالتها، بل لم توجد فيها بالأصل أبداً). وهذا الكلام يلغي كل فضيلة وتقوى في العذراء قبل أن

تصير والدة الإله، ويحولها إلى مجرد أداة مُفعلة لله، ويهتَمُّ التدبير الإلهي في العهد القديم الهادف إلى التَّهيئة للملء الزمان.

بالنسبة للأرثوذكس، إن مجد مريم يكمن بالضبط في حقيقة أنها بشرية مثلنا، بما في ذلك الطبيعة البشرية الخاضعة للأهواء. القديس يوحنا مكسيموفيتش أسقف سان فرنسيسكو يقول: "هذا التعليم (الحبل بلا دنس)، والذي له ظاهرياً هدف إعلاء أم الله، ينكر في الحقيقة بالكلية كل فضائلها... إن برّ العذراء مريم وقداستها قد أُظهر في حقيقة أنها لكونها "بشرية مع أهواء مثلنا" قد أحببت الله جداً ووهبت نفسها له، حتى بنقاوتها تُعلَى فوق بقية الجنس البشري. لهذا، وقد تمت معرفة هذا سلفاً وانتخابه، فقد مُنحت أن تكون مطهّرة بالروح القدس الذي حلَّ عليها، وأن تحبل به، بمخلّص العالم ذاته. إن تعليم حالة اللاخطيئة الممنوحة بالنعمة للعذراء مريم تنكر انتصارها على التجارب؛ فبدل منتصرة مستحقة أن تُكلَّل بأكاليل المجد، يجعلها هذا أداة عمياء لعناية الله" (٣١).

من أجل ذلك ترتّل الكنيسة الأرثوذكسية للعذراء مريم (بواجب الاستئصال "أو الإستحقاق" حقاً نغبط والدة الإله...). وذلك لأن العذراء تكرّم وتعظّم عن استحقاق وليس عن مجاملة أو انعام مجاني.

ويقول القديس سلوان الآثوسي: "إنه كان بإمكان العذراء أن تخطيء ولكنّها لم تخطيء ولا حتى بفكرها".

ولأجل كل ما ورد أعلاه فإن الأرثوذكس يرفضون هذه العقيدة على أساس أنها ستؤدّي بصورة طبيعية إلى إعلاء والدة الإله على قدم المساواة مع الله نفسه. وكذلك الكنائس البروتستانتية قد رفضت هذه العقيدة أيضاً

{ صعود العذراء إلى السماء بعد رقادها (أم) دون رقاد }

لطالما آمنت الكنيسة شرقاً وغرباً بانتقال العذراء بالنفس والجسد إلى السماء بعد موتها، وقد استقت الكنيسة هذا الإيمان من التقليد.

وكثير من الآباء والقديسين قد تحدّثوا عن رقاد والدة الإله وانتقالها إلى السماء ومنهم القديس موديستوس بطريك أورشليم، القديس جرمانوس بطريك القسطنطينية، والقديس أندراوس الكريتي والقديس يوحنا الدمشقي.

ويرفض البروتستانت الإيمان بصعود العذراء إلى السماء بعد موتها، إذ أن الانجيل لم يذكر شيئاً عن رقاد والدة الإله كما أنه لم يسلّط لنا الضوء على تفاصيل حياتها أيضاً. إنما ما يذكره القديس يوحنا الدمشقي في عظته الشهيرة حول رقاد السيدة كاف لتشيت التراث الشفهي الذي شاع في الكنيسة منذ القرون الأولى. ونقل إلينا في مخطوطة بعنوان "كتاب يوحنا اللاهوتي حول رقاد والدة الإله الكلية القداسة" وقد وجدت نسخ من هذه المخطوطة باللغات اليونانية والسريانية والعربية وكلها تعود إلى أوائل القرن الرابع الميلادي (٣٠٠-٣٢٠م تقريباً).

ويقول التقليد في ذلك أن الرّسل بعد العنصرة أخذوا يجتمعون معاً بانتظام وإذا اتّكئوا للغداء بعد الصّلاة كانوا يتركون ما بينهم موضعاً خالياً ويضعون على الوسادة قطعة من الخبز الذي يأكلونه يدعونها جزء الرّب. وإذا نهضوا بعد الغداء وصلّوا وشكروا يأخذون تلك القطعة فيرفعونها قائلين "المجد لك يا إلهنا المجد لك، المجد للآب والإبن والروح القدس" وكانوا يردّدون المسيح قام لفترة تتراوح بين الفصح والصّعود. وأما من بعد الصعود فكانوا يهتفون "عظيم اسم الثالوث القدوس، أيها الرب المسيح أعنا" وهكذا حتى افترقوا للكراسة.

ولما بلغت العذراء السّتين مع العمر جاءها ملاك من الرب في اليوم الثاني عشر من شهر آب عام ٤٤م فبشّرها أنّها بعد ثلاثة أيام ستنتقل من دار الشقاء إلى دار الهناء والبقاء، ففرحت فرحاً عظيماً وصلّت شاكرة الرّب وطلبت أن ترى أولادها الرّوحيين أي الرسل الأطهار الذين كانوا متفرّقين في أقطار المسكونة فإذا بروح الرب يخطفهم في اليوم الخامس عشر من شهر آب

ويجمعهم لدى الأم البتول باستثناء توما الرسول الذي كان منشغلاً بتعميد ابنة ملك الهند حيث كان يكرز هناك. ففرحت بهم وأخبرتهم سبب حضورهم العجيب، وعزّتهم على حزنهم وأن الدنيا كلها إلى زوال، وصلت من أجل سلام العالم واضطجعت كما أرادت وأسلمت روحها إلى ابنها وإلهها، وأما الرسل فقد حملوا السرير بموكب جنازي مهيب إلى القبر في قرية الجسمانية وأن أحد اليهود من سبط لاوي واسمه اثاناس مد يده إلى التعش يريد أن يقلبه فإذا بسيف من الرب يقطع يديه الآمتين، فوقع خوف شديد في قلوب اليهود وآمن قوم كثير منهم، وبعد أن وضعوا جسد العذراء في القبر قرّر الرسل أن يتناوبون على زيارة القبر مدّة أسبوع يتلون التّسابيح.

ويذكر التقليد أيضاً أن الرسول توما حضر بعد ثلاثة أيام وأصرّ أن ينظر محيّا والدة الإله ويتبرك منه ويودّعه مثل باقي الرّسل فلما رفعوا الحجر من باب القبر لم يجدوا الجسد، بل كان الضريح فارغاً والأكفان وحدها، وعندها قال لهم الروح القدس: "إن الرب لم يشأ أن يبقى جسدها في الأرض". فآمنوا أن العذراء انتقلت بالنّفس والجسد إلى ملكوت السماوات، وأن هذا المكان المقدس في الجسمانية قد بني فوقه كنيسة بناها البطريرك الأورشليمي يوفيناليوس عام ٤٣١م، ثمّ بنى الامبراطور ماورينسبو كنيسة فوق القديمة عام ٤٩٠م وهي تحمي القبر المقدّس.



والآن لنلقي الضوء على رأي كافة الطوائف في صعود العذراء بالنّفس والجسد:

⦿ رأي البروتستانت:

كما ذكرنا سابقاً فإن أخوتنا البروتستانت لا يؤمنون بصعود العذراء بالنّفس والجسد إذ لم يتكلّم الكتاب المقدّس عن هذا الأمر وكونهم يرفضون التقليد كلياً فلم يقبلوا بهذا القول، وأعلّق على رفضهم هذا بنقطتين:

أولاً: هل ذكر الكتاب المقدس كل شيء؟ بالطبع لا! فهناك الكثير من الشواهد الكتابية التي تبين أن الكتاب المقدس لم يذكر كل شيء، ومنها:

"وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ، إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ. آمِينَ" (يو ٢١: ٢٥). وأيضاً "وَأَيَاتٍ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَ يَسُوعُ قَدَامَ تَلَامِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ" (يو ٢٠: ٣٠).

وبالنسبة لمعجزات الرب، فليس فقط ما ورد في الإنجيل هي كل المعجزات إذ يقول الكتاب "وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا عَنْدهُمْ سَقَمَاءُ بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ قَدَّمُوهُمْ إِلَيْهِ، فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَشَفَاهُمْ" (لو ٤: ٤٠) ما عدد هؤلاء المرضى؟ كثير جداً. ولم تسجل حوادث الشفاء وأيضاً يقول الكتاب "وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيُشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ" (مت ٢٣: ٤) ما هي حوادث شفاء كل مريض؟ لم تذكر.

وفي معجزة الخمس خبزات والسمكتين، كان يعلم الناس من الصباح حتى بدأ النهار يميل. فماذا كان تعليمه لهم؟ لم يذكر شيء عنه في الإنجيل.

وقد أمرنا الرسل القديسين بحفظ التقاليد:

إذ يقول بولس الرسول "فَانْتَبُتُوا إِذَا أَتَيْتُمُ الْإِخْوَةَ وَتَمَسَّكُوا بِالتَّقَالِيدِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا، سَوَاءً كَانَ بِالْكَلَامِ أَمْ بِرِسَالَتِنَا" (٢ تس ١٥: ١). وقال أيضاً "تَتَجَنَّبُوا كُلَّ أَخٍ يَسْلُكُ بِلاَ تَرْتِيبٍ، وَلَيْسَ حَسَبِ التَّقْلِيدِ الَّذِي أَخَذَهُ مِنَّا" (٢ تس ٣: ٦). وقال لأهل كورنثوس "فَأَمْدَحُكُمْ أَتَيْتُمُ الْإِخْوَةَ عَلَى أَنَّكُمْ تَذْكُرُونَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحْفَظُونَ التَّقَالِيدَ كَمَا سَلَّمْتُهَا إِلَيْكُمْ" (١ كو ١١: ٢).

وللأسف فإن أخوتنا البروتستانت في الترجمة البيروتية للكتاب المقدس وضعوا كلمة "تعاليم" بدلاً من كلمة "تقاليد" في الأمور التي تؤيد فكرة التقاليد. واستبقوا كلمة التقاليد في كل

ما يدل على التّقاليد الباطلة وترفضه الكنيسة المقدسة!! (وقد وضعت كلمة التقليدات في هامش الكتاب المقدس المشوهد المستخدم من الخاصة).

وقد جاءت الكلمة باليونانية *parathosis* والتي تعني بالعربية التقليد أو التسليم ولم يستخدم الرسول بولس كلمة "التعاليم"، ورغم ذلك يترجمون التقليد تعليم برغم دقة اللغة اليونانية في التعبير فقد استعمل الرسول الكلمة *parathosis* بمعنى التقليد أو التسليم ولم يستعمل الكلمة *didaskalia* التي تعني التعليم.

ومما سبق يتبيّن بوضوح أن الكتاب المقدس لم يذكر كل شيء وبأن الآباء الرسل أوصونا بحفظ التّقليد سواء كان مكتوباً أو بالكلام. وأكتفي أخيراً بقول الرّسول يوحنا الحبيب "وَكَانَ لِي كَثِيرٌ لِأَكْتُبُهُ، لَكِنِّي لَسْتُ أَرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ بِحَبْرٍ وَقَلَمٍ. وَلَكِنِّي أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ عَنْ قَرِيبٍ فَتَنَكَلِّمَ فَمَا لِفَمٍ" (١٣: ١٤-١٥) فإذا رفضنا كل تقليد وكل تسليم شفوي حفظته الكنيسة فلنرفض إذن قول يوحنا الحبيب الذي لم يدوّنه بحبر وقلم وقول القديس بولس وبقية التعاليم الشّفوية للآباء الرسل القديسين.

ولن أخوض في هذا المجال أكثر إذ هو ليس موضوعنا إنما ذكرته للردّ على انكار التّقليد والتّسليم الشّفوي!.

ثانياً: قد يتخيل البعض أن رواية صعود العذراء بالنّفس والجسد هي رواية خياليّة بعيدة عن الحقيقة والموضوعيّة. ولكن من يقرأ الإنجيل بإيمان ويؤمن بآياته لا يستغرب تقليداً كهذا بل هو تتمّة منطقية لحياة أم النور مريم، وتتويج طبيعي لحياة طاهرة كحياة مريم التي اتخذ السيّد جسداً من جسدها. أليس هو القائل "من آمن بي وإن مات فسيحيا" أليس بعد موته على الصليب وقيامته "الْقُبُورُ تَفْتَحُ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقَدِيسِينَ الرَّاقِدِينَ وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ" (مت ٢٧: ٥٢-٥٣). وأيضاً ماذا عن الشاهدين اللذان سيشهدان للرب قبل مجيئه الثاني، فبعد موتهما يقول الكتاب: "ثُمَّ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ وَالنَّصْفِ، دَخَلَ فِيهِمَا رُوحُ حَيَاةٍ مِنَ اللَّهِ، فَوَقَفَا عَلَى أَرْجُلِهِمَا. وَوَقَعَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى الَّذِينَ كَانُوا يَنْظُرُونَهُمَا. وَسَمِعُوا صَوْتًا

عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا لَهُمَا: «اصْعَدَا إِلَى هَهُنَا». فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ فِي السَّحَابَةِ، وَنَظَرَهُمَا أَعْدَاؤُهُمَا" (رؤ ١١: ١٢). فإذا كان هؤلاء القديسين الرَّاقدين قد قام كثير منهم بالجسد بعد قيامة الرب، والشاهدان كذلك قد قاما بالنفس والجسد بعد ثلاثة أيام ونصف من موتهما فكيف بالحري من جسدت الإيمان بشخصها وحيوت بأحشائها سيد العالم وخالقه وحملت بين يديها جابل الإنسان بيديه؟.

⦿ رأي الكاثوليك:

لطالما آمنت الكنيسة الكاثوليكية بانتقال العذراء مريم بالنفس والجسد إلى السماء كالكنيسة الأرثوذكسية ويعتبر هذا الإيمان كتقليد أبوي إيماني وليس كعقيدة إذ أن الإيمان بصعود العذراء بالجسد لا يتعلّق بخلاصنا، ولذلك يعتبر الإيمان بالصّعود رأي لا عقيدة. ولكن لم يبق رأي الكنيسة الكاثوليكية في صعود العذراء كتقليد أبوي إيماني، ففي اليوم الأول من شهر تشرين الثاني عام ١٩٥٠م قد حدّد البابا بيوس الثاني عشر عقيدة الإيمان بانتقال العذراء جسدياً إلى السماء، أثناء احتفال كبير اشترك فيه ٣٧ كاردينالاً و ٥٨٢ أسقفًا وآلاف الكهنة والرهبان، وجماهير غفيرة تناهز المليون. وقد وقّع البابا في الدستور الرّسولي *"Munificentissimus Deus"* التّحديد اللاهوتي الآتي "تمجيداً لله القدير الذي أفاض سخاءه الخاص على البتول مريم، وأكراماً لابنه ملك الدهور الأزلي وغالب الموت والخطيئة، وازدياداً لمجد والدته الجلييلة، ولأجل فرح وابتهاج الكنيسة قاطبة بسلطة سيدنا يسوع المسيح، والقديسين الرسولين بطرس وبولس وبسلطاننا الخاص، نعلن ونصرّح ونحدّد كعقيدة موحاة أن مريم والدة الإله البريئة من العيب والدائمة البتولية، انتقلت بالنفس والجسد إلى المجد السماوي بعد أن أتمّت مسيرة حياتها على الأرض".

وهنا نرى بوضوح أن عقيدة صعود العذراء إلى السماء التي صاغها البابا بيوس الثاني عشر لم يذكر فيها صراحة موتهما، فموضوع موت العذراء قد أخذ في هذه العقيدة جانباً من الغموض وذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية تعلّم في اللاهوت الأوغسطيني القائل بأن الموت هو عقاب للخطيئة الأصلية، وكون أنّ العذراء مريم قد حبل بها بلا دنس الخطيئة الأصلية كما

أوضحنا سابقاً، فيكون بموجب هذه العقيدة "الحبل بلا دنس" أن العذراء لا يمكن أن تموت (أن تترك روحها جسدها)، لذلك فموضوع موت العذراء قبل صعودها بالروح والجسد يبقى مليئاً بالغموض في الكنيسة الكاثوليكية لذلك لم يقر البابا بيوس الثاني عشر بالتطرق إليه في العقيدة التي صاغها!!.

ونحن كأرثوذكسين نترك مسألة موت العذراء (مغادرة روحها جسدها) للاهوت اللاتيني ليجيب عليها ضمن تعليمه بالحبل بلا دنس!؟

٥ رأي الأرثوذكس:

كما أوضحنا سابقاً فالكنيسة الأرثوذكسية تؤمن بانتقال العذراء بالنفس والجسد إلى السماء كتقليد أبوي إيماني وليس كعقيدة، ومن المستحيل للإيمان الأرثوذكسي أن يعترف بصعود العذراء إلى السماء بالجسد قبل أن يؤمن أنها ماتت فعلاً ودفنت. لهذا السبب تفضل الكنيسة الأرثوذكسية استعمال تعبير "رقاد العذراء" لعيدها في ٢٨ آب/أغسطس بدلاً من تعبير "صعود العذراء". فتعبير صعود العذراء بدون موتها يرفعها إلى مستوى إلهة. لهذا يقول القديس يوحنا الدمشقي: "نحن نحتفل برقادها. نحن لا نجعلها إلهة، لا سمح الله! أساطير كهذه تنتمي إلى شعوذة وثنية، لأننا حتى نعلن موتها"^(٣٢).

وترتل الكنيسة في يوم عيد (رقاد العذراء):

"في ميلادك حفظت البتولية وصنتها، وفي رقادك ما أهملت العالم وما تركته يا والدة الإله، لأنك انتقلت إلى الحياة بما أنك أم الحياة"^(٣٣) فبشفاعتك أنقذي من الموت نفوسنا".

(٣٢) *Second encomium on the dormition, ch15*

(٣٣) قال الرب يسوع "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦)، لذلك ندعوا العذراء بأم الحياة لأنها ولدت الذي هو الحياة.

{ هل للعدراء شفاعه (أم) لا شفاعه لها }

إن موضوع شفاعه العذراء هو من أكثر المواضيع التي تثار في أيامنا هذه، فالمسيحيون بالنسبة لهذا الموضوع ينقسمون إلى قسمين، فمن جهة الأرثوذكس والكاثوليك يؤمنون بشفاعة العذراء وبأن لها دالة عند الله وأنها قائمة عن يمين ابنها وإلهها (مز ٤٥: ٩) وتصلّي لأجلنا وأنها شفيعة غير خازية، بينما من جهة أخرى فإن البروتستانت يظنون انه في طلب شفاعه العذراء أو القديسين نعطي عمل المسيح وكرامته لهم، فالكتاب المقدس يقول "أَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (١ تي ٢: ٥) وأيضاً قول يوحنا الحبيب "وَأِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ" (١ يو ٢: ١). والحقيقة أنه يوجد فارق أساسي كبير بين شفاعه المسيح وشفاعة (صلوات) القديسين بما فيهم العذراء.

× شفاعه المسيح، شفاعه فدائيه – كفاريه – استحقاقية:

أن السيد المسيح له كل المجد، قد قدّم نفسه عنا ذبيحة فدائيه كفاريه ورفع خطايانا (اش ٥٣: ٦) ومات لأجل البشرية التي كانت مستوجبة الموت بسبب طبيعة الخطيئة الساكنة فيها، وقيامته جدّد طبيعتنا وأعاد لنا صورة النعمة التي فقدناها منذ الخطيئة الأولى (سقوط آدم) وانتشلنا من الموت إلى الحياة ومن الظلمة إلى النور ومن العبودية إلى البنويّة وصالح البشريّة مع الله على الصليب وكان هذا رجاء جميع أنبياء العهد القديم فالكل كان بانتظار هذ الخلاص العظيم كما قال أيوب "لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْنَا" (أي ٣٣: ٩)، وبذلك كان الرب يسوع المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والناس إذ بذل نفسه لأجل محبّته للبشر لينتشلهم من عبودية إبليس إلى حرّيّة مجد أولاد الله. وهذا ما يقصده يوحنا الحبيب "وَأِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِحَطَايَانَا. لَيْسَ لِحَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِحَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا" (١ يو: ٢: ١-٢) هنا تبدو الشفاعه الكفاريه واضحه، فهي شفاعه في الإنسان الخاطيء {إن أخطأ أحد} وهذا الخاطيء يحتاج إلى كفارة. والوحيد الذي قدم هذه الكفارة هو يسوع المسيح البار. لذلك يستطيع أن يشفع فينا، بدمه المسفوك عنا.

وهذا ما أوضحه القديس بولس الرسول أيضا إذ قال "أَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهُ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (١ تي ٢: ٥)، فهو هنا يشفع باعتباره القادي الذي بذل نفسه حاملاً (أجرة- نتيجة) خطايانا. هذا اللون من الشفاعة لا نقاش فيه مطلقاً. إنه خاص بالمسيح وحده له كل المجد أمّا شفاعة القديسين في البشر فلا علاقة لها بالكفارة ولا الفداء. إنما هي طلبات وصلوات لأجلنا عند السيد المسيح نفسه.

é شفاعة العذراء والقديسين فينا هي صلوات من أجلنا، ولذلك فهي شفاعة توسلية غير شفاعة المسيح الفدائية.

فكون أن جماعة المؤمنين (الكنيسة) هم أعضاء في جسد المسيح الذي هو رأس هذا الجسد فلهم سلطان الشفاعة وتقديم الصلوات والطلبات إلى المسيح الإله لأجلنا إذ هم أعضاء في جسده. والكتاب يوافق على ذلك، إذا يقول "صَلُّوا بَعْضُكُمْ لِأَجْلِ بَعْضٍ" (يع ١٦: ٥). والقديسون أنفسهم كانوا يطلبون صلوات الناس عنهم. فالقديس بولس يقول لأهل تسالونيكي "صَلُّوا لِأَجْلِنَا" (٢ تس ٥: ٢٥). ويطلب نفس الطلبة من العبرانيين (عب ١٣: ١٨). ويقول لأهل أفسس "مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلَاةٍ وَطَلْبَةٍ ... لِأَجْلِ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ، وَلِأَجْلِي، لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلَامٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي" (أف ٦: ١٨). وطلب الصلاة لا حصر له في الكتاب المقدس.

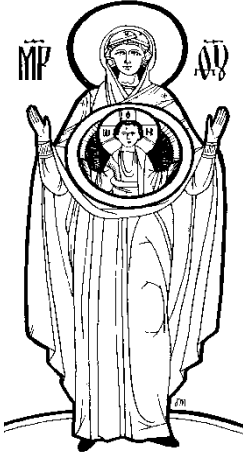
فإن كان القديسون يطلبون صلواتنا، أفلا نطلب نحن صلواتهم؟.

وأن كنّا نطلب الصلاة لأجلنا من البشر الأحياء، الذين لا يزالون في فترة الجهاد {تحت الآلام مثلنا} أفلا نطلبها من القديسين الذين جاهدوا الجهاد الحسن وأكملوا السعي (٢ تي ٤: ٧)، وانتقلوا إلى الفردوس، يحيون فيها مع المسيح ..

فكل هذه الآيات تقول أن على المؤمنين أن يصلّوا لبعضهم البعض (يع ١٣: ١٦-١٧) لأن صلاة البار تشفي وتغفر الخطيئة وتعين و إلخ.

ولكن يقول البعض أنه لا يجب علينا أن نطلب صلوات المنتقلين إذ أنهم لن يصلّوا للأحياء لأنهم (مغمورين بمجد الرب) ولا اهتمام لهم بالعالم الأرضي، فيكون الرد وهل هؤلاء

قلّت مكاتبتهم بعد أنتقالهم من الأرض إلى الفردوس. بحيث كان يجوز لنا أن نطلب صلواتهم وهم على الأرض. وأصبحت صلواتهم محرّمة وهم قريبون من الله في الفردوس!!.



وبولس الرسول يقول أن جسد المسيح هو الكنيسة "الَّذِي الْآنَ أَفْرَحُ فِي آلَامِي لِأَجْلِكُمْ، وَأُكْمَلُ نَفَائِصَ شِدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لِأَجْلِ جَسَدِهِ، الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ" (كو ١: ٢٤) فهل انفصل المنتقلون عن جسد المسيح بعد انتقالهم أم ثبتوا؟ لا بل ثبتوا وإلاّ انفصلوا عن ذات المسيح، لذلك لا فصل في الكنيسة فلا يوجد كنيسة علوية وأخرى أرضية فالكل كنيسة واحدة والصلاة مطلوبة من الكل لأجل الكل. وإن كان كذلك فكيف إذن تكون طلبه العذراء من ابنها وإلهها؟!

وسأدرج بعض الأمثلة عن شفاعة القديسين من الكتاب المقدس، وأول هذه الأمثلة

شفاعة أم النور مريم، إذ محور حديثنا يدور عنها:

فقد ورد في انجيل يوحنا الإصحاح الثالث "وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَ عُرْسٌ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَكَانَتْ أُمُّ يَسُوعَ هُنَاكَ. وَدُعِيَ أَيْضًا يَسُوعُ وَتَلَامِيذُهُ إِلَى الْعُرْسِ. وَلَمَّا فَرَّغَتِ الْخَمْرُ، قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ: «لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «مَا لِي وَلَكَ يَا امْرَأَةٌ؟ لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ». قَالَتْ أُمُّهُ لِلْخُدَّامِ: «مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ». وَكَانَتْ سِتَّةَ أَجْرَانٍ مِنْ حِجَارَةٍ مَوْضُوعَةٍ هُنَاكَ، حَسَبَ تَطْهِيرِ الْيَهُودِ، يَسَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مَطْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ. قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «امْلَأُوا الْأَجْرَانَ مَاءً». فَمَلَأُوهَا إِلَى فَوْقِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «اسْتَقُوا الْآنَ وَقَدِّمُوا إِلَى رَئِيسِ الْمُتَّكِ». فَقَدَّمُوا. فَلَمَّا ذَاقَ رَئِيسُ الْمُتَّكِ الْمَاءَ الْمُتَحَوِّلَ خَمْرًا، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هِيَ، لَكِنَّ الْخُدَّامَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ اسْتَقَوْا الْمَاءَ عَلِمُوا، دَعَا رَئِيسُ الْمُتَّكِ الْعَرِيسَ وَقَالَ لَهُ: «كُلُّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا يَضَعُ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ أَوَّلًا، وَمَتَى سَكِرُوا فَحِينَئِذٍ الدُّونَ. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ إِلَى الْآنَ!». هَذِهِ بَدَايَةُ الْآيَاتِ فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَآمَنَ بِهِ تَلَامِيذُهُ".

هنا نلاحظ الحوار بين مريم ويسوع "وَلَمَّا فَرَعَتِ الْخَمْرُ، قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ: لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: مَا لِي وَلَكَ يَا امْرَأَةُ؟ لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ" اضطربت السيدة ل فراغ الخمر من العرس فطلبت من ابنها الذي تعرفه جيداً أن يصلح الأمر لكن يسوع رفض وقال لها: "ما لي ولك" أي ما دخلي ودخلك (بهم) فإن ساعة استعلان مجدي لم تكن بعد وليس الآن وقت للعجائب. فالرب يسوع لم يرد أن يفعل أمراً ما لكن السيدة تمنت عليه ليفعله وهو أطاعها ولم يخيّب طلبها وبالتالي ابتدأت بشارة الرب يسوع بناءً على طلب مريم وليس كما هو مخطّط لها لذلك مريم هي أكثر من بارّة وهي أكثر من مؤمنة هي أم الرب التي تتكلم مع الرب وتلحّ عليه لأجلنا كما أحتت من أجل الخمر على الرغم من المعارضة المبدئية للرب ولكنها بالحقيقة كانت شفيعا العرس كله!.

وفي الكتاب المقدس شفاعات كثيرة للقديسين وأذكر بعضها:

é شفاعا أبينا ابراهيم في أبيمالك الملك.

عندما أخطأ أبيمالك وأخذ سارة زوجة ابراهيم، فإن الرب قد ظهر لأبيمالك في حلم وأنذره بالموت وقال له "فَالآن رُدَّ امْرَأَةَ الرَّجُلِ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَيُصَلِّيَ لِأَجْلِكَ فَتَحْيَا" (تك ٢٠: ٧) كان يستطيع أن يغفر للرجل بمجرد ردّه المرأة إلى زوجها ولكنه اشترط للمغفرة أن يصلي إبراهيم لأجله، فيحيا. وهكذا نرى أن الله اشترط وطلب شفاعا إبراهيم في أبيمالك.

é شفاعا أيوب البار في أصحابه الثلاثة.

بنفس الطريقة اشترط الرب على أصحاب أيوب الثلاثة شفاعا أيوب الصديق وصلاته من أجلهم لكي يغفر لهم. وفي هذا يقول الكتاب "أَنَّ الرَّبَّ قَالَ لِأَلِفَبَارَ التَّيْمَانِيِّ: قَدْ اخْتَمَى غَضَبِي عَلَيْكَ وَعَلَى كِلَا صَاحِبَيْكَ، لَأَنْتُمْ لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعَبْدِي أَيُّوبَ. وَالآن فَخُذُوا لَأَنْفُسِكُمْ سَبْعَةَ ثِيرَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ وَادْهَبُوا إِلَى عَبْدِي أَيُّوبَ، وَأَصْعِدُوا مُحْرَقَةً لِأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ، وَعَبْدِي أَيُّوبُ يُصَلِّيَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لَأَنِّي أَرْفَعُ وَجْهَهُ لِيَلَا أَصْنَعَ مَعَكُمْ حَسَبَ حِمَاقَتِكُمْ" (أي ٤٢: ٨-٧).

ولا ننسى شفاعة أبينا إبراهيم بسدوم وشفاعة موسى النبي في الشعب بعد عبادتهم للعجل الذهبي عندما قال للرب "ارْجِعْ عَنْ حُمُوءِ غَضَبِكَ" (خر ٣٢: ١٢). والكثير من هذه الأمثلة في الكتاب المقدس ويطول شرحها لذلك نكتفي بما ورد.

ورأينا بوضوح كم هي قوية صلوات هؤلاء القديسين فلهم مكانة أكبر لدرجة أن الله كان يرحم الناس من أجلهم حتى دون أن يصلّوا. فكم بالأولى إن صلوا لأجل أحد، ومن أمثلة ذلك ما فعله الرب من أعمال الإشفاق والرحمة من أجل داود عبده بسبب خطيئة سليمان، فقد قرّر الله أن يمزق مملكته، ولكنه يقول له عن تقسيم المملكة.

"إِلَّا أَنِّي لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أَمَرْتُهَا. عَلَى أَنِّي لَا أَمَرْتُ مِنْكَ الْمَمْلَكَةَ كُلَّهَا، بَلْ أُعْطِيَ سَبْطًا وَاحِدًا لِابْنِكَ، لِأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي، وَلِأَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا" (١ مل ١١: ١٢-١٣) وكرّر الرب نفس الكلام في حديثه مع يريعام "وَقَالَ لِيَرُبْعَامَ: خُذْ لِنَفْسِكَ عَشَرَ قِطَعٍ، لِأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَآنَذَا أَمَرْتُ الْمَمْلَكَةَ مِنْ يَدِ سُلَيْمَانَ وَأُعْطِيكَ عَشْرَةَ أَسْبَاطٍ. وَيَكُونُ لَهُ سَبْطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَجْلِ عَبْدِي دَاوُدَ وَمِنْ أَجْلِ أُورُشَلِيمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتُهَا مِنْ كُلِّ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ" (١ مل ١١: ٣١-٣٢) ولذلك قال داود المرتل "مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِكَ لَا تَرُدُّ وَجْهَ مَسِيحِكَ" (مز ١٣٢: ١٠) فإن كانت هكذا مكانة فتى الرب داود عند الله، فكم بالأكثر تكون مكانة أم الرب العذراء الطوباوية؟! لذلك نقول في القداس الإلهي "بشفاعة والدة الإله يا مخلص خلّصنا". أي تكريماً لها ولأجل صلواتها لا ترد وجهنا وارحمنا.

ولكن سيقول البعض: وهل إن طلبنا صلوات وتضرّعات العذراء أو القديسين فهل سيسمعوننا؟ ونجيب عن ذلك بنعم، والأدلة على ذلك هي:

(١) لا شك أن معرفة السماء أكثر من معرفة الأرض.

وهوذا بولس الرسول يجيب ويقول "فَإِنَّا نَنْظُرُ الْآنَ فِي مِرَآةٍ، فِي لُغْزٍ، لَكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لَوَجْهِهِ. الْآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لَكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عَرَفْتُ" (١ كو ١٣: ١٢).

إذن، معرفتنا في العالم الآخر ستزيد، وستتكشف لنا أسرار كثيرة عندما نخلع هذا الجسد المادي إذ سنكون في وسط النعمة الإلهية، حينئذ هناك ستتسع معرفة الروح، وستخرج من نطاق (بعض المعرفة) إلى مجال أوسع. ويضاف إلى هذه المعرفة، ما يعلنه الرب للأرواح، أي ما يدخل في نطاق الكشف الإلهي.

(٢) معرفة السمائيين واضحة من قول الرب "إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ" (لوقا ١٥: ١٠).

ومعنى هذا أن أخبار الأرض تصل إلى سكان السماء، سواء كانوا ملائكة أو أرواح قديسين. فيعرفون من يتوب، ومن لا يحتاجون إلى توبة، ويسرّون لتوبة الخاطئ لأنهم إن كانوا لا يعرفون فكيف سيفرحون؟!

(٣) الملائكة تعرف صلواتنا، لأنها تحمل صلواتنا إلى عرش الله.

والشهادات كثيرة على هذا في سفر الرؤيا.

فقد ورد في (رؤ ٨: ٣-٥) "وَجَاءَ مَلَكٌ آخَرُ وَوَقَّفَ عِنْدَ الْمَذْبَحِ، وَمَعَهُ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَأُعْطِيَ بَخُورًا كَثِيرًا لِكَيْ يُقَدِّمَهُ مَعَ صَلَوَاتِ الْقَدِّيسِينَ جَمِيعِهِمْ عَلَى مَذْبَحِ الذَّهَبِ الَّذِي أَمَامَ الْعَرْشِ. فَصَعِدَ دُخَانُ الْبَخُورِ مَعَ صَلَوَاتِ الْقَدِّيسِينَ مِنْ يَدِ الْمَلَكِ أَمَامَ اللَّهِ".

وهنا نرى صلوات القديسين تصعد أمام الله من يد الملاك ومبخرته. فكيف لا يعرفها؟

(٤) وكما يعرف الملائكة صلواتنا ويرفعونها لله، كذلك الحال أيضاً بالنسبة إلى الأربعة والعشرين شيخاً:

فقد ورد في (رؤ ٥: ٨) عن الأربعة والعشرون شيخاً "وَلَهُمْ كُلٌّ وَاحِدٍ قِيَارَاتٌ وَجَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٌ بَخُورًا هِيَ صَلَوَاتُ الْقَدِّيسِينَ" داخل مجامرهم يرفعونها لله. وهذا دليل على معرفتهم لهذه الصلوات التي يرفعونها إلى الله. ولا شك أنه مما يمكن أن يقال أيضاً ذكر (ملائكة الأطفال) حيث قال الرب "انْظُرُوا، لَا تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَائِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلِّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ١٨: ١٠).

٥) مثال آخر هو قصة إبراهيم والغني ولعازر.

قال إبراهيم للغني "اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذَلِكَ لِعَازَرُ الْبَلَايَا. وَالْآنَ هُوَ يَنْعَزِي وَيَنْتَعِزُّ وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ" (لو ١٦: ٢٥). فمن أين عرف إبراهيم البلايا التي احتملها لعازر المسكين، ومن أين عرف تنعم الرجل الغني؟ وكيف قال عن أهل الغني أنه "عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءُ، لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ" (لو ١٦: ٢٩) بينما أبونا إبراهيم انتقل من الأرض قبل موسى بمئات السنين، وقبل باقي الأنبياء، ولكنه عرف هذا كله؟

وكيف لا يعرف إبراهيم، وهو الذي قال عنه الرب "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ" (يو ٨: ٥٦) فإبراهيم المنتقل إلى الحياة الأخرى قد رأى تجسد وتدبير ابن الله لخلاص البشر، وتهلل وفرح عندما عرف عن تجسد المخلص وآه، وليس كما يقول بعض أخوتنا البروتستانت بأن هذه الآية تشير إلى الثلاث رجال الذين زاروا إبراهيم (الرب وملاكين) ففي ذلك الحين لم يكن ابن الله قد تجسد وأخذ جسداً من العذراء، ولكن لما حلّ ملء الزمان ارسل الله ابنه مولوداً من العذراء فرأى إبراهيم "المنتقل" ذلك وتهلل فرحاً!

وأيضاً ماذا عن الشهداء الذين انتقلوا؟ فيقول سفر الرؤيا (١١: ٩-١١) "وَلَمَّا فَتَحَ الْخَتَمَ الْخَامِسَ، رَأَيْتُ تَحْتَ الْمَذْبَحِ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُمْ، وَصَرَخُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: «حَتَّى مَتَى أَيُّهَا السَّيِّدُ الْقُدُّوسُ وَالْحَقُّ، لَا تَقْضِي وَتَنْتَقِمَ لِدِمَائِنَا مِنَ السَّاكِنِينَ عَلَى الْأَرْضِ؟» إِذَا فَهؤلاء قد عرفوا - بعد وفاتهم - أن الرب لم ينتقم لهم بعد. وهم يصرخون إلى الله متى ستنتقم لدمائنا، فمن أين هؤلاء أن يعرفوا كل هذا؟

هل بعد هذا نتكلم عن معرفة القديسين؟!

وقد يسأل سائل هل يمكن للعذراء بعد أن انتقلت أو للقديسين، الظهور أو التعامل مع البشر رغم أنهم قد تركوا هذه الحياة؟ والجواب بالتأكيد نعم، وأما الأدلة فهي:

١) قصة عجيبة عن إيليا النبي في أخبار الأيام الثاني.

تروي القصة أن يهورام الملك قتل جميع أخوته، وسلك في الفساد في طريق آخاب الرديّة،

وأقام مرتفعات للأصنام، وعمل الشر في عيني الرب. وإذ بكتابة من إيليا النبي تصل إليه وكان إيليا قد ترك الأرض، وصعد إلى السماء منذ سنوات خلت!!

"وَأَتَتْ إِلَيْهِ كِتَابَةٌ مِنْ إِيلِيَّا النَّبِيِّ تَقُولُ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ دَاوُدَ أَبِيكَ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ لَمْ تَسْلُكْ فِي طَرِيقِ يَهُوشَافَاطَ أَبِيكَ وَطَرِيقِ آسَا مَلِكِ يَهُودَا، بَلْ سَلَكَتَ فِي طَرِيقِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ ...، هُوَذَا يَضْرِبُ الرَّبُّ شَعْبَكَ وَنَبِيَّكَ وَنِسَاءَكَ وَكُلَّ مَالِكَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً" (٢أخ ٢١: ١٢-١٤).

كيف حدث كل هذا، وكيف عرف إيليا كل هذه الأخبار بعد انتقاله من الأرض؟ وكيف أرسل كتابه إلى يهورام يندر فيها بأن الرب سيضربه وأهله وشعبه ضربة عظيمة بسبب خطاياهم؟.

(٢) ظهور صموئيل النبي بعد موته لشاول.

عندما اضطرب شاول وخاف من جيش الفلسطينيين ولم يعلم بماذا يتصرف فقد سأل الرب بم العمل فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء. فلجأ إلى عرافة في عين دور لاستشارة صموئيل الميت، وطلب منها أن تصعد صموئيل. والرب سمح بصعود صموئيل ورأته العرافة "فَلَمَّا رَأَتْ الْمَرْأَةُ صَمُوئِيلَ صَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ" (١صم ٢٨: ١٢) ودار حوار بين صموئيل وشاول، رغم أن صموئيل كان قد مات وندبه كل إسرائيل ودفنوه في الرامة في مدينته (١صم ٢٨: ٣). ويجب أن نوضح هنا أن الرب قد سمح لشاول أن يبصر ويتحدث مع النبي صموئيل عن طريق العرافة لأن الذي سأل العرافة هو "شاول مسيح الرب" وهي كما يقول الآباء حالة استثنائية لذلك صرخت العرافة لأنها تخدع الناس أما هنا فقد ظهر حقيقياً النبي



صموئيل فجزعت العرافة!

(٣) ظهور رئيس الكهنة أونيا بعد أن مات في الحلم ليهوذا المكاوي، وأراه إرميا النبي يصلي من أجل الشعب.

"وهذه هي الرؤيا، قال: رأيت أوتيا عظيم الكهنة السابق، رجل الخير والصلاح، المتواضع المنظر الحليم الأخلاق، صاحب الأقوال الطريفة، المواظب منذ صباه على جميع أعمال الفضيلة، باسطاً يديه يصلي من أجل جماعة اليهود بأسرها، ثم تراءى كذلك رجل كريم المشيب أغر البهاء، عليه جلال عجيب سام. فتكلم أوني وقال: هذا محب الإخوة، المكثّر من الصلوات لأجل الشعب والمدينة المقدسة، إرميا نبي الله، ثم إن إرميا مد يمينه وناول يهوذا سيفاً من ذهب فقال: خذ هذا السيف المقدس هبة من عند الله، به تحطم الأعداء" (المكابيين الثاني ١٥: ١٢-١٦).

(٤) ظهور كل من موسى النبي وإيليا مع الرب يسوع المسيح في التجلي.

فبالحقيقة ظهر هذان النبيان حول رب المجد على جبل ثابور رغم أن موسى كان قد مات نحو ١٥٠٠ سنة قبل المسيح وإيليا قد صعد إلى السماء نحو ٨٥٠ سنة قبل مجيء المسيح لكن الأول صعد من الأرض والآخر نزل من السماء وكانا كليهما مع الرب وكلماه والتلاميذ شاهدوهم وحتى أن بطرس قال ليسوع "يَا مُعَلِّمُ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا. فَلْنَصْنَعْ ثَلَاثَ مَظَالٍ: لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى وَاحِدَةً، وَلِإِيلِيَا وَاحِدَةً" (لو ٩: ٣٣).

أبعد هذا كله نشك في علاقة القديسين المنتقلين إلى السماء مع الأرضيين، أهل حقاً لا علاقة لهم بنا، ولا يصلّون لأجلنا، وهل حقاً لا دالة لهم عند الله، وهل هم أموات أم أحياء؟ كما يقول الكتاب "وَلَيْسَ هُوَ إِلَهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهَ أَحْيَاءٍ، لِأَنَّ الْجَمِيعَ عِنْدَهُ أَحْيَاءٌ" (لو ٢٠: ٣٨). "لَأَنَّنَا إِنِ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ." (رو ٨: ١٤).

إننا نطلب صلوات العذراء والقديسين من أجل الدالة العظيمة التي لهم عند الله. ومن أجل إمكانياتهم الواسعة بعد خروجهم من الجسد، وطاقاتهم الروحية الأكثر قدرة ومن أجل محبة الله لهم وتكليفه لهم بأعمال رحمة وخدمة للبشر، ومن أجل معرفتهم وهم خارج الجسد بشكل أوسع بكثير من معرفتهم وهم في الجسد.

ونحن لا نصلي للقديسين، وإنما نطلب صلواتهم، ونطلب معونتهم لنا. وحديثنا إلى العذراء ليس هو عبادات موجه إليها، إنما هي مخاطبة بنين لأمتهم، نوع من المناجاة وليس من العبادة، راجين منها أن تشفع فينا، لأن بالحقيقة لها دالة عند الله.

ولأجل كل ما ورد نؤمن بأن للقديسين شفاعه وهذا حق وتقليد الكنيسة قد ثبتت هذه العقيدة، ولا ننسى أيضاً أن الروح القدس أيضاً يشفع فينا إذ يقول الكتاب: "وَكذلكَ الرُّوحُ أَيْضاً يُعِينُ ضَعْفَاتِنَا، لِأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لِأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِيْنَا بِأَنَاتٍ لَا يُنْطَقُ بِهَا. وَلَكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ، لِأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ يَشْفَعُ فِي الْقَدِّيسِينَ" (رو ٨: ٢٦-٢٧).

وهنا نرى أن الروح القدس أيضاً يشفع فينا ولكن ليس كشفاعة المسيح الذي فداننا، وإنما بحسب قول القديس يوحنا ذهبي الفم: "أن الروح القدس يعطي للبعض موهبة الصلاة عن الآخرين... فالروح يقترح على النفوس المقدسة ما تصلي به من أجل أخوتها، لأنها لا تعلم ما تصلي لأجله كما ينبغي، فقد صلى بولس طالباً أن يرى روما، وصلى موسى مشتتياً رؤية أرض الميعاد (تث ٣: ٢٦) وطلب إرميا عن اليهود (أر ١: ١٥) وتشفع إبراهيم عن أهل سدوم (تك ١٨: ٢٣)، ومع ما لهذه الصلوات من قيمة كبرى تكشف عن قلوب مقدسة محبة للآخرين، لكنها في رأي القديس يوحنا ذهبي الفم لم يكن هؤلاء يعرفون ما يصلون لأجله كما ينبغي... فالإنسان مهما بلغت قداسته يحتاج إلى عون الروح ليرشده حتى في الصلاة عن الآخرين." (٣٤)

الروح يسند ليس فقط في الصلاة عن الآخرين وإنما حتى من أجل الإنسان نفسه، لأنه كما يقول الأب اسحق تلميذ القديس أنطونيوس أبو الرهبان: "أحياناً نسأل أموراً تضاد خلاصنا، وبواسطة عنايته الإلهية يرفض طلباتنا، لأنه يرى ما هو لصالحنا بحق أعظم مما نستطيع نحن. وهذا ما حدث مع معلم الأمم (بولس) عندما صلى أن يُنزع منه ملاك الشيطان الذي سمح به الرب لأجل نفعه إذ قال: "وَلَمَّا أَرْتَفَعَ بَقَرَطِ الإِغْلَانَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ،

مَلَاكَ الشَّيْطَانِ لِيَلْطَمَنِي، لِئَلَّا أَرْتَفِعَ. مِنْ جِهَةٍ هَذَا تَصَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي.
فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ». " (٢ كو ١٢: ٧-٩) " (٣٥)

فالله لن يستحب إلّا لو كانت صلاتنا متطابقة مع مشيئته. وكيف نعرف مشيئته؟ هذا هو عمل الروح القدس الذي يقنعني بالتسليم الكامل له. وبهذا أصير مقبولاً لدى الله. وهذه هي شفاعة الروح القدس. فحينما نقول أن المسيح شفيع لنا لدى الآب (١ يو ٢: ١)، فهو كفارة لخطايانا، بمعنى أننا بسبب خطايانا غير مقبولين أمام الآب، لكن المسيح غطانا بدمه (كفّر عنا) فصرنا مقبولين أمام الآب. وبنفس المنطق فإختلاف مشيئتي عن مشيئة الآب يجعلني غير مقبولاً لديه، أمّا الروح القدس الذي يقنعني بأن أسلم مشيئتي للآب فهو بهذا يجعلني مقبولاً لدى الآب، وبهذا فهو يشفع فيّ لدى الآب لأنه واحد مع الآب في الجوهر. فالذي يئن هو أنا فالروح لا يئن، فالروح يضع فينا مشاعر حب وشكر لله واشتياق وحنين للسماء، ويعطينا ما نقوله في الصلاة. والروح لا يخلق البلاغة والفصاحة في صلواتنا بل الاشتياق لله. والنفس قد تكون متألّمة بسبب تجربة تلم بها ويقف صاحب التجربة ليصلي، ويعطيه الروح أن يضع كل ثقته في الله الذي يحبه بالرغم من التجربة، بل أن التجربة هي طريقه للسماء، ويلتهب قلبه بالحب لله ولا يجد ما يعبر به نحو الله، يعبر به عن مشاعره، لا يجد كلمات تعبر عن هذه المشاعر فيئن. والله يسمع هذه الأنات التي تعبر عن تجارب النفس مع الروح القدس. الله يسمع هذه الأنات المقبولة (آية ٢٧) كما سمع صراخ موسى دون أن يصرخ ودون أن يتكلم كلمة (خر ١٤: ١٥) وسمع صراخ إسماعيل في عطشه دون أن يفتح فاه (تك ٢١: ١٧) وسمع أنات أم صموئيل (١ صم ١: ١٣)، والله يسمع أي يعرف من يتجاوب مع الروح القدس. وفي آية ٢٧ "نسمع بحسب مشيئة الله" فعمل الروح القدس يجعل مشيئتي تتطابق مع مشيئة الله. ونلاحظ أن هذا هو ما حدث مع المسيح. ففي وقت التجربة أصرخ لله أياماً وشهور والروح القدس يقنعني خلال كل هذه المدة أن أسلم مشيئتي لله. وكلما تقدم الإنسان روحياً يختزل هذا الوقت جداً. ومع المسيح يختزل هذا الوقت إلى لا شيء يذكر، ولاحظ صلاة المسيح "إن أمكن أن تعبر عني

هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت". وكما اختزل الوقت بين طلبتي وبين تسليم مشيئتي بالكامل لله كلما ارتفعت قامتي روحياً. فالمؤمن يبدأ صلاته وهو مُصِرٌّ على طلب ما وينتهي صلاته وقد سَلَّمَ الأمر تماماً ليدي الله في ثقة ويذهب وقلبه مملوء سلاماً. والروح يشفع فينا أي يعطينا أن نكون مقبولين أمام الله فتنسكب فينا بركاته ومنها السلام الذي يملأ القلب فمعنى أن الروح يشفع هو أنه يجعلنا نتصل بالله بطريقة صحيحة (والاتصال هو الصلاة).

وأتمنى أن أكون قد وقّعت في استبيان ما هي شفاعة المسيح الخلاصية وشفاعة الروح القدس التي تجعلني أسلك بحسب مشيئة الآب وشفاعة القديسين التضريعية التي تمدّني بالمعونة من أعضاء هم معي في نفس الجسد ورأسنا كلنا هو المسيح له كل المجد، آمين.



{ ألقاب العذراء مريم }

لا توجد امرأة تنبأ عنها الأنبياء واهتم بها الكتاب مثل السيدة العذراء، وقد ذكرت رموزها في العهد القديم، وسيرتها وتسبحتها والمعجزات في العهد الجديد.

إنها أمنا كلنا، سيدتنا كلنا وفخر جنسنا الملكة القائمة عن يمين الملك، العذراء الدائمة البتولية الطاهرة المملوءة نعمة، الأم القادرة المعينة الرحيمة أم النور أم الرحمة وأم الخلاص، الكرمة الحقيقية التي أنبتت سنبلة الحياة، هذه التي ترفعها الكنيسة فوق مرتبة رؤساء الملائكة فتقول عنها: "يا من هي أكرم من الشيروبيم وأرفع مجداً بغير قياس من السيرافيم".

إنها التي تربت في الهيكل وعاشت حياة الصلاة والتأمل منذ طفولتها وكانت الإناء المقدس الذي اختاره الرب للحلول فيه، وقد انتظرت ميلاد العذراء أجيال طويلة لكي يتم بها ملء الزمان. هذه التي أزال عار حواء وأنقذت سمعة المرأة بعد الخطيئة، إنها والدة الإله، الدائمة البتولية، إنها العذراء التي ولدت المسيح المنتظر رجاء الأمم. وهي تجري معجزات في أماكن عديدة، نعيد لها فيها، وقصص معجزاتها هذه لا تدخل تحت حصر. ونرى الكثير من الكنائس تحتفل بأعيادها، وما أكثر المذائح والتراويل والتماجيد والذكصولوجيات الخاصة بها، وبخاصة في الصيام الأربعيني المقدس حيث نتلو لها المذائح، ولها عند أخوتنا الكاثوليك شهر يسمّى الشهر المريمي.

وللعذراء مريم ألقاب عدّة اعتادت الكنيسة أن تناديها بها إذ أنها مستحقّة لكل ما قيل فيها من مدح. ويمكن تقسيم هذه الألقاب إلى قسمين:

(١) ألقابها من حيث عظمتها وصلتها بالله:

أ- نقول عنها "أمنا القديسة مريم".

وفي ذلك قول الرب على الصليب لتلميذه القديس يوحنا الحبيب "هُوَذَا أُمُّكَ" (يو ١٩: ٢٧) فهي أم كل حبيب للرب.

ب - نلقبها بالملكة، القائمة عن يمين الملك.

ونذكر في ذلك المزمور "جُعِلَتِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ" (مز ٤٥: ٩)، ولذلك دائماً ترسم في أيقونتها عن يمين السيد المسيح له كل الجدد.

ج - نلقبها أيضاً بالعروس.

لأنها العروس الحقيقية لرب المجد، وتحقق فيها قول الرب لها في المزمور "إِسْمَعِي يَا بِنْتُ وَاَنْظُرِي، وَأَمِيلِي أُذُنَكَ، وَأَنْسِي شَعْبَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ، فَيَسْتَهَيِّ الْمَلِكُ حُسْنَكَ، لِأَنَّهُ هُوَ رَبُّكَ وَلَهُ تَسْجُدِينَ" (مز ٤٥: ١٠). لذلك لُقِّبَت بصديقة سليمان، أي عروس النشيد.

د - وتشبه العذراء أيضاً بسلّم يعقوب.

تلك السلّم التي كانت واصله بين الأرض والسماء (تك ٢٨: ١٢). ونرمز للعذراء بالسلّم الذي نزل عليه الرب إلينا، والتي بولادتها للمسيح أوصلت سكان الأرض إلى السماء.

هـ - ونشبه العذراء كذلك بالسحابة.

لارتفاعها من جهة، ولأنه هكذا شبهتها نبوة إشعياء في مجيئها إلى مصر "وَحَيَّ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ: هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ، فَتَرْتَجِفُ أَوْتَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ، وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا" (اش ١٩: ١).

(٢) ألقابها ورموزها من حيث أمومتها للسيد المسيح.

أ - ومن الألقاب التي وصفت بها العذراء "ثيؤتوكوس".

أي "الدة الإله" كما أوضحنا سابقاً، وهذا اللقب الذي أطلقه عليها المجمع المسكوني المقدس المنعقد في أفسس سنة ٤٣١ م، وهو اللقب الذي تمسك به القديس كيرلس الإسكندري رداً على نسطوريوس. وبهذا اللقب "أم ربّي" خاطبتها القديسة أليصابات، ويعتبر لقب والدة الإله "عقيدة" في الكنيسة الجامعة لاستبيان

أن الله بالحقيقة تجسّد من العذراء مريم وظهر بالجسد. وكل من يرفض هذه العقيدة "تسمية والدة الإله" هو في نظر الكنيسة الجامعة هرطوقي كنستوربوس، إذ ينكر بحقيقة العبارة أن الله قد ولد منها وهو بذلك يشكّك في ألوهة المسيح واتحاده الأتقنومي.

ب - وتلقّب العذراء أيضاً بالسماء الثانية ونقول عنها يا من كانت أحشاءها أرحب من السماوات. لأنه كما أن السماء هي مسكن الله، هكذا كانت العذراء مريم أثناء الحمل المقدّس مسكناً لله.

ج - وتلقّب العذراء أيضاً بمدينة الله.

وتتحقّق فيها النبوءة التي في المزمور "قَدْ قِيلَ بِكَ أَمْجَادٌ يَا مَدِينَةَ اللَّهِ" (مز ٨٧: ٣) ويقال عنها "مدينة الملك العظيم" لأنه فيها تحقّقت نبوات معيّنة قد قيلت عن أورشليم أو صهيون كما قيل أيضاً في المزمور "وَلِصْهَيُونُ يُقَالُ: «إِنْسَانًا، وَإِنْسَانٌ وُلِدَ فِيهَا، وَهُوَ الْعَلِيُّ الَّذِي أَسَّسَهَا»" (مز ٨٧: ٥).

د - ولقّبت أيضاً بالكرمة التي وجد فيها عنقود الحياة.

أي المسيح إلهنا له المجد. وبهذا اللقب تتشفع فيها الكنيسة في صلاة الساعة الثالثة، وتقول لها "أنت الكرمة الحقيقيّة التي أنبتت ثمرة الحياة يا والدة الإله".

هـ - وبصفة هذه الأمومة لها ألقاب أخرى منها:

- أم النور، على اعتبار أن السيد المسيح قيل عنه أنه "كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان" (يو ١: ٩).

- أم القدّوس، على اعتبار أن الملاك حينما بشّر بميلاد المسيح قال لها "لذلك القدّوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥).

(٣٦) هذه الآية مأخوذة من الترجمة الأرثوذكسية "لتفسير سفر المزامير" للبطريرك الأورشليمي أنثيموس، وفي الترجمة البيروتية قد وردت هكذا "وَلِصْهَيُونُ يُقَالُ: هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا الْإِنْسَانُ وُلِدَ فِيهَا، وَهِيَ الْعَلِيُّ يُبَشِّرُهَا".

- أم المخلص، لأن السيد المسيح هو مخلص العالم، وقد دعي يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (مت ٢١: ١).

و- وأيضاً نسميها بالعليقة التي رآها موسى النبي.
إذ رأى موسى العليقة المشتعلة التي لا تحترق وهي كالعذراء التي حوت النار الإلهية في أحشاءها "لهنا نار آكلة" (عب ١٢: ٢٩) وأنجبته دون أن تتأثر بتوليبتها.
ز- من رموزها أيضاً تابوت العهد.

وكان هذا التابوت من خشب السنت الذي لا يسوس. مغشى بالذهب من الداخل والخارج (خر ٢٥: ١٠، ٢٤) رمزاً لنقاوة العذراء وعظمتها، وكانت رمزاً أيضاً لما يحمله التابوت في داخله من أشياء ترمز إلى السيد المسيح. وقد كان يحفظ في "قسط من ذهب فيه المن، وعصا هارون التي أفرخت" (عب ٩: ٤) ولوحا الشريعة (رمزاً لكلمة الله المتجسد).

ح- وندعوا العذراء أيضاً بعصا هارون التي أفرخت.
أي أزهرت وحملت براعم الحياة بمعجزة (عد ١٧: ٦-٨) مع أن العصا أصلاً لا حياة فيها فلا يمكن أن تفرخ زهراً وثمرًا. وذلك يرمز إلى بتولية العذراء التي ما كان ممكناً أن تفرخ أي تنتج نسلًا. إنما ولدت بمعجزة.

ط- وتشبه العذراء كذلك بالباب الذي في المشرق كما ذكرنا سابقاً.
ذلك الذي رآه حزقيال النبي وقال عنه الرب "هَذَا الْبَابُ يَكُونُ مُغْلَقًا، لَا يُفْتَحُ وَلَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ دَخَلَ مِنْهُ فَيَكُونُ مُغْلَقًا" (حز ٤: ٢). وهذا الباب الذي في الشرق، رأى عنده النبي مجد الرب، وقد ملأ البيت (خر ٤٣: ٢، ٤، ٥) وهذا يرمز إلى دخول الرب إلى العالم من هذا الباب (العذراء) الذي بالشرق.

ي- ولأنها هذا الباب الذي في المشرق، وصفت بأنها باب الحياة - باب الخلاص.

السيدة العذراء قيل عنها في سفر حزقيال النبي إنها الباب الذي دخل منه رب المجد وخرج (خر ٤: ٢٠) فإذا كان الرب هو الحياة، تكون هي باب الحياة، وقد قال الرب "أن القيامة والحق والحياة" (يو ١١: ٢٥) لذلك تكون العذراء هي باب الحياة. الباب الذي خرج منه الرب مانحاً حياة لكل المؤمنين به. وإذا كان الرب هو الخلاص إذ جاء خلاصاً للعالم، يخلص ما قد هلك (لو ١٩: ١٠). حينئذ تكون العذراء هي باب الخلاص. وليس غريباً أن تلقب العذراء بالباب، فالكنيسة أيضاً لُقِّبت بالباب، وقال أبونا يعقوب عن بيت إيل "مَا أَرْهَبَ هَذَا الْمَكَانَ! مَا هَذَا إِلَّا بَيْتُ اللَّهِ، وَهَذَا بَابُ السَّمَاءِ" (تك ٢٨: ١٧).

ق - وشبَّهت أيضاً بقدس الأقداس.

هذا الذي كان يدخله رئيس الكهنة مرّة واحدة كل سنة، ليصنع تكفيراً عن الشعب كله، ومريم الذي حل في داخلها رئيس الكهنة الأعظم (عب ٤: ١٤) رب المجد مرّة واحدة لأجل فداء العالم كله.

ومن ألقابها أيضاً: فخر جنسنا، المركبة الشيروبيمية ... إلخ.

وأشهر ما تُلَقَّب به الفاتكة (الكلية) القداسة.



{لماذا يجب أن نكرم العذراء}

إنّ أكرام أمّ النور مريم هو واجب على كل مسيحي مؤمن، فمن منّا ينكر ميلادها لمخلّصنا وإلهنا ربنا يسوع المسيح؟ بالطبع لا أحد. وهي قد قالت بالروح "فَهُؤَدَا مُنْذُ الْآنَ جَمِيعُ الْأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي" (لو ١: ٤٨). فقد كانت مدركة تماماً لقيمتها لدى جميع الأجيال القادمة وأن الكل سيَطَوِّبُها وبهِنَّها لتجسّد الإله منها، أفلا نكون نحن من بين هذه الأجيال المطوّبة التي هي مستحقة كل تطويب؟ وما معنى أن نطوّبها أن نقول (مريم المطوّبة) ونكتفي، بالطبع لا. بل أن نهنّئها على هذه النعمة العظيمة التي خاطبها بها الملاك والتي شعرت بها أليصابات، فقد أطلق عليها ملاك البشارة جبرائيل اسم "الْمُمْتَلِئَةُ نِعْمَةً" وقال لها أن "الرَّبُّ مَعَهَا" وأنها "مُبَارَكَةٌ فِي النِّسَاءِ" و "قَدْ وَجَدَتْ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ" (لو ١: ٢٨-٣٠). وأخبرها أيضاً أن الروح القدس سيحل عليها وقوة العلي ستظلّلها، "فتلد ابناً.. يكون عظيماً وابن العلي يُدعى.. ويملك على بيت يعقوب أبد الدهر، ولن يكون ملكه انقضاء" (لو ١: ٣٤-٣٥). وأيضاً أليصابات لما سمعت سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها فامتألت من الروح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت "مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِي أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟ فَهُؤَدَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلَامِكِ فِي أُذُنِي ارْتَكَضَ الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي. فَطَوَّبَنِي لِلَّتِي آمَنْتَ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ". فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبُّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخَلِّصِي، لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ اتِّصَاعِ أُمَّتِهِ. فَهُؤَدَا مُنْذُ الْآنَ جَمِيعُ الْأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي" (لو ١: ٤١-٤٨). تضيفي هذه الأقوال الكتابية كرامة عظيمة على العذراء مريم. فإله نفسه يدعوها بلسان الملاك: "الممتلئة نعمة"، أليصابات تقول بإلهام من الروح القدس إنها "مباركة في النساء" و"أم ربّي". ويوحنا المعمدان أعظم مواليد النساء يهتزّ فرحاً وهو جنين في بطن أمه لدى زيارتها والدته وسماعه لصوت سلامها. والعذراء مريم نفسها تمجّد الرب وتتنبأ أن جميع الأجيال ستطوبها وتعبّطها.

لكن بعض الناس يرفضون حقيقة أكرام العذراء فيتساءلون: إذا كان المخلص هو المسيح،

فلماذا تحظى العذراء مريم بهذا المقدار من التكريم؟

والحقيقة أن سبب ذلك ليس صعب الإدراك. فتجديد العلاقات مع الله، وتحديد طبيعة الإنسان بطبيعة المسيح الإلهية، ومساهمة الطبيعة الإنسانية بالحياة الإلهية، أمور تحققت كلها بتأنس المسيح في أحشاء مريم العذراء. ومهما قدّمنا، نحن البشر من أنواع التكريم لها، لن نصل البتّة إلى تلك الكرامة التي منحها إياها الله نفسه لما تجسد في أحشائها وجعلها والدة الإله. يدعونا الإيمان بالمسيح الإله المتأنس إلى أن نكرّم والدة الإله، كونها أداة تجسّده. وإلاّ فكيف نستطيع أن نشهر إيماننا بيسوع المسيح الإله - الإنسان؟.

لقد رأينا أن الكتاب المقدس نفسه يشهد لتكريم العذراء وينسبه إلى من تجسّد منها، أي يسوع الإله المتأنس: "لأنه نظر إلى تواضع أمته، وسوف تطوّبي جميع الأجيال" (لو ١: ٤٨). ونحن إذ نكرّم العذراء مريم إنما نفعل ذلك لأن المسيح نفسه قد كرّمها أولاً، ولأن الكتاب المقدس يأمرنا بذلك. نحن نؤمن طبعاً أن العذراء ليست مصدر الخلاص، لأن مخلصنا هو المسيح الذي أخذ الطبيعة البشرية وشفأها وأصبح بالنسبة إلى الإنسان "آدم الجديد"، "الجذر الجديد". لكن هذا "الجذر الجديد" نبت في أحشاء مريم، لذلك يسمي القديس يوحنا الذهبي الفم عيد بشارة العذراء: "عيد الجذر".

العذراء مريم هي أوّل من عاش مساهمة الطبيعة الإنسانية في الحياة الإلهية، والسرّ الذي أعاد اتصال الإنسان والخليقة كلها، بالإله المثلث الأقانيم. فقد اشتركت الأقانيم الثلاثة في عمل التجسّد: الآب يرسل الابن فيتجسد بحلول الروح القدس في أحشاء العذراء.

هكذا صارت مريم "الجسد" الذي وصل السماء بالأرض وأعاد كامل الخليقة إلى أحضان محبة الله. ولذا لا يحتفل البشر وحدهم، بل الخليقة كلها، بميلاد المسيح من العذراء: السماء والنجوم، الملائكة والبشر، الأرض والمغارة، ملوك الشرق والرعاة، كلهم يحتفلون بتحديد خطبة العريس السماوي إلى الكنيسة.

فتكرّم العذراء مريم متّصل دائماً بشخص المسيح، أي إنها تُكرّم دائماً كـ "أم للرب" (لو ١: ٤٣). ولذا تُعلّم الكنيسة الأرثوذكسية أن العذراء مريم غير مبرّزة من الخطيئة الجديّة، لأنها

هي أيضاً، مثل سائر البشر، ورثت طبيعة آدم الخاطئة. إلا أنها حُفظت من الخطايا الشخصية، لأنها كانت "إناءً مختاراً وممتلئة نعمة".

وكيف لا نكرمها وهي أم ربنا؟ أُولم يقل الله "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ" (خر ٢٠: ١٢)؟ ومريم هي أم يسوع، ويسوع يكرمها بما أنه انسان فإن كان الله يكرم هذه الإنسانية أفلا أكرمها أنا؟! لقد كرمها أيضاً ملاك البشارة جبرائيل عندما دعاها "الْمُمْتَلِئَةَ نِعْمَةً" وقال لها أن "الرَّبُّ مَعَهَا" وأنها "مُبَارَكَةٌ فِي النِّسَاءِ". ونعلم أنَّ الملائكة أعظم من البشر كما قال النبي "فَمَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرُهُ؟ ... وَتَنْقُصَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ" (مز ٨: ٥) فإذا كانت هذه الملائكة تعظم



العدراء وتدعوها الممتلئة نعمة وأن الرب معها والمباركة بين النساء أفلا أعظمها أنا كإنسان أدنى من الملائكة؟

كيف لا أكرمها وهي أم كل حبيب للرب "هُوَذَا أُمُّكَ" (يو ١٩: ٢٧)؟ ولنتأمل قليلاً في النص الإنجيلي التالي: "فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ، وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفاً، قَالَ لِأُمِّهِ: «يَا امْرَأَةُ، هُوَذَا ابْنُكَ». ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: «هُوَذَا أُمُّكَ»" (يو ١٩: ٢٦) قال يسوع لأُمِّه دالاً على تلميذه الحبيب (هوذا ابنك) وقال للتلميذ الحبيب (هوذا امك) فأقل واجب عليّ اتجاهها هو تكرمها تكريم الابن لأُمِّه وطلب معونتها وصلواتها، فإنّ هذا ما نسعى إليه مع أمّهاتنا بالجسد ونطالبهم بدوام الرضا والصلاة لأجلنا فكيف لا نطلب من التي تفوق كل الأمّهات قداسة؟ كيف أرفض أن أقول لها يا أمي احميني، يا أمي أعينيني، يا أمي لا تنسيني بصلاتك، يا أمي لا تتركيني فكم أحبك لأنك أمي وأم إلهي فهي بالحقيقة أم كافة المؤمنين، ألم يكن ابراهيم أباً للمؤمنين، وحتى للذين لم يكونوا من نسله كان ابراهيم أباً لهم بالإيمان، وكذلك العذراء مريم كانت أم كافة المؤمنين. ولهذا نرتل في قداس القديس باسيليوس: "إن البرايا بأسرها تفرح بك يا ممتلئة نعمة، محافل الملائكة وأجناس البشر، أيها الهيكل المتقدّس والفردوس الناطق فخر البتولية مريم التي منها

تجسّد الإله وصار طفلاً وهو إلّنا قبل الدهور. لأنّه صنع مستودعك عرشاً وجعل بطنك أرحب من السموات، لذلك يا ممتلئة نعمة تفرح بك كل البرايا وتمجّدك".

لذلك فعندما تقول الكنيسة الأرثوذكسية عن العذراء مريم "أيتها الفائق قُدسها" فهذا ليس عن محاباة ولا عن مجاملة بل عن استحقاق، وذلك لأن العذراء مريم جاهدت ولم تخطيء حتى بفكرها بسبب تواضعها وإيمانها بالرغم أنّها كانت قادرة على أن تخطيء ولكنها لم تفعل رغم أنّها ورثت نتائج الخطيئة الجديّة "الفساد والموت"، لذلك فإنّها فائقة قداسة عن استحقاق ولأنّها كانت ثمر صلاة ثمر نعمة إلهية، لقد صبر الله على عقر يواكيم وحنّة حتى يؤكّد لهم بأن المولود ليس من نتاج القوى البشرية بل هي بالأولى ثمر صلاة وتدخل إلهي ونعمة إلهية عن طريق الطبيعة البشرية لهذا السبب كانت "إناءً مختاراً وممتلئة نعمة". ومن الأمثلة على جهاد العذراء مريم ما ذكره القديس أنطونيوس الكبير أبو الرهبان إذ سُئل من أعظم مجاهد وناسك؟ فقال العذراء مريم. فقالوا له لماذا؟!!

فأجاب "لأنّها حملت في أحشاءها إله الكل ولم يتأبها أي فكر تكبر أو غرور فقد حملت الإله ولزمت متواضعة فأبي جهاد هو الأعلى من هذا أو الأعظم منه، فبولس الرسول قال: "وَلِنَآءِ أَرْتَفَعَ بِفَرْطِ الْإِعْلَانَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ" وذلك لكي يحفظه الله من التكبر والغرور رغم أن الذي ناله بولس هو إعلانات، فكم عظيم هو جهاد العذراء مريم التي حملت الإله ووسّع أحشاءها الغير موسوع ولبثت متواضعة. فهي التي حفظت نفسها من الخطايا الشخصية بمعونة من الله ولأن كل شيء يعود لله نقول: أنّها حفظت من الخطايا مجازياً.

ومما سبق يتبيّن أن إكرام سيدتنا مريم العذراء هو واجب على كل إنسان مؤمن حقيقي، ومهما أكرماها فأكرامنا لها لا شيء مقارنة باكرام الإله لها الذي تجسّد منها وسكن أحشاءها ولقّبها بروحه القدوس على لسان أليصابات "أم الرب".

{ حوار حول العذراء }

في أحد الأيام تطرّقت للحوار عن العذراء مريم مع سيدة بروتستانتية وتكلّمت معها حول رفضها للقب والدة الإله أو أم الله، فقالت هذا غير صحيح فهي لم تلد إلاّ جسد يسوع ولذلك ينبغي أن نناديها فقط بأم يسوع! وطبعاً تطرّقت لشرح طبيعة المسيح الأبنومية واتحاد الطبيعتين فيه، فمن الخطأ أن نقول هي فقط أم يسوع وأن ننكر أنها أم الإله فيسوع هو الإله المتجسّد بسبب اتحاد لاهوته بناسوته دون اختلاط أو انفصال أو امتزاج ولم يفارق ناسوته لاهوته ولا للحظة واحدة ولا لطرفة عين. فيسوع ليس مجرد انسان بل هو الإله المتأنس. وسألته عن رأيها في قول أليصابات بعد أن امتلأت بالروح القدس: "فَمَنْ أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِي أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟" فهل بعد هذا لا تؤمنين بأن العذراء هي أم الإله إذ أنه بالحقيقة ولد منها؟ فأجابته اجابة غريبة جداً وهي: نعم صحيح أن العذراء هي أم الرّب ولكن ليست أم الله!! فما كان منّي إلاّ الدهول، فيا ترى ما الفرق بين الرّب والله؟ أهل الرب ليس هو الله؟ أوليس الكتاب المقدس يعلمنا أن "الرّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" (تث ٦: ٤ ، مر ١٢: ٢٩) فمن هو الرب يسوع المسيح أليس هو "الْكائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلَهًا مُبَارَكًا إِلَى الْأَبَدِ" (رو ٩: ٥) أوليس "فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلءِ اللَّاهُوتِ جَسَدِيًّا" (كو ٢: ٩) فإذا كنّا نؤمن أن المسيح إله وأن العذراء أمّه فتكون العذراء أم الإله.

ولكي أحسم الحوار قلت لها أريد جواباً بنعم أو لا، هل العذراء هي أم الرب؟ قالت نعم، فقلت وهل الرّب هو الله؟ قالت نعم، قلت إذا العذراء أم الله، فما كان منها إلاّ الرفض مجدداً!! وعلمت حينها أننا ندور في حلقة مفرغة، فحواري معها هو حوار بيزنطي لن نخرج منه بنتيجة. وأضافت قائلة أنكم بقولكم أن العذراء هي والدة الإله تمجدونها والله يقول "مَجْدِي لَا أُعْطِيهِ لآخر" (اش ٤٢: ٨)، وقد تفاجئت بهذا القول أكثر من سابقه،



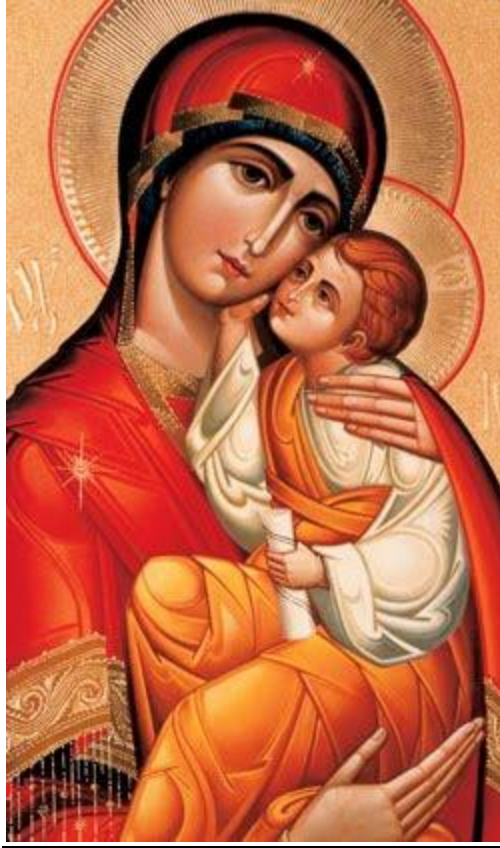
فقلت وهل حقاً تظنّين أن العذراء غير ممجّدة؟ فيبدو أنك لا تميّزين بين المجد الذاتي والمجد

المكتسب، فالمجد الذاتي هو مجد الله وهذا لا خلاف فيه أمّا المجد المكتسب فقد منح لكل القديسين في المسيح يسوع، وبالحقيقة العذراء ممجدة وتمجدها، فنحن المؤمنين كلنا ممجدين في المسيح، فما بالك بالطوباوية أم النور؟ فإذا كان الرب بالعهد القديم لم يعطي مجده لآخر هذا لأن كل الشعب القديم قد كانوا عبيداً والتبني لم يحدث إلّا بعهد النعمة بالمسيح يسوع، فلا يمكن مطلقاً للعبد أن يأخذ من مجد سيّده، أمّا في العهد الجديد فالأمر اختلف ولم نعد بعد عبيداً بل أبناء، ولو أردت الأخذ بكلامك فكيف نفسّر قول بولس الرسول عن المعمودية إنّنا "كَمَا أَقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الْآبِ، هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟" (رو٦:٤) فالعذراء في جدّة الحياة قد سلكت في المسيح بمجد الله الآب، أفلا أمجدها وهي ممجّدة مع كل مصاف القديسين؟ وهنا ما أراد بولس أن يفهمنا إيّاه من هذه الآية هو أن نعلم ما هو غنى مجد ميراث الله في القديسين. والرب يسوع المسيح نفسه يقول "وَأَنَا قَدْ أُعْطِيتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أُعْطِيتَنِي" (يو١٧:٢٢) فعن أي مجدٍ يا ترى يتحدث؟ إلا عن مجد الله الذي لم يكن يعطى لآخر والآن قد أعطي لنا بالمسيح يسوع. بل عندما يمجدّ الرسول بولس الحياة الأبدية يقول عن الرب يسوع إنه "آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ" (عب٢:١٠)، بل يقول الرسول بطرس إنّ "رُوحَ الْمَجْدِ وَاللّهِ يَحِلُّ عَلَيْكُمْ" (١بط٤:١٤). ألا تكفي هذه العبارات؟ وكيف وصف بطرس نفسه بأنّه "شَرِيكَ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ" (١بط٥:١)؟ إن المجد هو من الله نفسه، لأنه هو الذي يمجدنا "فَهَؤُلَاءِ مَجْدُهُمْ" (رو٨:٣٠). فهل بعد هذا كلّ نتكلم عن المجد المختص بالقديسين؟ أهل نحن مخطئين إذا مجّدنا العذراء وهي بالحقيقة قد تمجدت بالمسيح يسوع، فكل من هم بالمسيح هم ممجّدون لكن يبدو أنك يا سيّدي الكريمة مازلتِ تعيشين في ضلال العهد القديم ولم تفهمي بعد رسالة العهد الجديد وعمل النعمة فينا، فالعذراء مريم أم النور هي ممجدة شاء من شاء وأبى من أبى. (إلى هنا انتهى الحوار)

بالواقع تردّدت كثيراً قبل نشري هذا الحوار في كتابي ولكن اكتشفت بأن هذا الفكر منتشر عند الأغلبية من أختوتنا البروتستانت، فما لا أفهمه هو كيف أنهم يرفضون تسمية أم الإله وعندما تضع أمامهم الآية الإنجيلية "أُمُّ رَبِّي" يقرّون بأنّها أم الرب؟! ولكن لا يقبلوا أن تكون أم الإله! رغم أن الكتاب المقدس قطع الشك باليقين بتكراره سبع مرات أن الرب هو

الله، أورد منها: "اعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللهُ. هُوَ صَنَعَنَا، وَلَهُ نَحْنُ شَعْبُهُ وَغَنَمُ مَرْعَاهُ." (مز: ١٠٠: ٣)
"لِيَعْلَمَ كُلُّ شُعُوبِ الْأَرْضِ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ" (١مل ٨: ٦٠)، لذلك فأنا حقيقة لا
أعلم كيف يفسرون هذه المعادلة، وكيف بالذات في موضوع العذراء ولقبها يتم التفريق بين الرب
والإله! ولم أجد سوى ثلاث احتمالات لتفسيرهم بقبول أنها أم الرب ولكن ليست أم الله وهي:

- إمّا للتقليل من مكانتها.
 - أو انكارهم لولادة الإله وتجنسده بالحقيقة منها.
 - أو أن الرب ليس هو الله.
- سأترك الإجابة لهم، ولإلهنا المجد الدائم والكرامة من الآن وإلى الأبد آمين.



{ النظريات الثلاثة }

لعلّ بعد كل ما ورد في هذا الكتاب خرجت بخلاصة ما أسميته بالنظريات الثلاثة المتعلقة بالعدراء! وهي كالآتي:

(١) النظر لها كأقنوم رابع. (٢) التقليل غير اللائق. (٣) الإكرام الفائق.

ولعلّ القارئ قد فهم المقصود بهذه النظريات الثلاثة وهي نظرة الطوائف المسيحية للعدراء وسأبدأ بالنظرية الأولى.

٧ النظر لها كأقنوم رابع:

هذه النظرية أنسبها للكنيسة الكاثوليكية، ولاحظ عزيزي القارئ أنني قلت ينظر إليها "كأقنوم" ولم أقل ينظر إليها على أنها أقنوم رابع، لأن الكنيسة الكاثوليكية لا تدرج العدراء من ضمن الثالوث الأقدس ولا تعلن أنها أقنوم رابع، وإنما قد عظمتها بصورة مبالغة أصبحت بها تقريباً معادلة للثالوث الأقدس!! فقد منحت الكثلثة العدراء ألقاباً وصفاتاً لا يتصف بها سوى الرب يسوع المسيح وحده، ولا يجوز أن يتصف بها أي شخص آخر.

وأبدأ بالحبل بلا دنس^(٣٧)، أي أن حنة قد حبلت بالعدراء دون أن ترث العدراء مريم نتائج الخطيئة الجدية أي كانت بلا دنس الخطيئة، بينما يعلمنا الكتاب المقدس بأن القدوس وحده يسوع المسيح هو الذي حبل به بلا دنس وكان بلا خطيئة طيلة عمره حتى أنه قد جاهر بهذا عندما قال لليهود "مَنْ مِنْكُمْ يُكْتَنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟" (يو ٨: ٤٦). وأيضاً يقول عنه الوحي الإلهي في (عب ٤: ١٥) "بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيئَةٍ" فالرب يسوع المسيح كان الوحيد بلا خطيئة ولم يولد تحت الخطيئة كسائر الجنس البشري الذي طغى عليهم الموت والفساد بعد طرد الأبوين الأولين من الجنة بسبب الخطيئة، فالسيد المسيح له كل المجد لم يُجبل به نتيجة اتصال رجل بامرأة، بل كما نقول في قانون الإيمان "نزل من السماء وتجنّس من الروح

(٣٧) راجع في هذا الكتاب "عقيدة الحبل بلا دنس ورفضها أرثوذكسياً".

القدس ومن مريم العذراء وتأتس" اذاً يكون هو وحده بلا دنس، أما سائر الجنس البشري هم بالطبيعة حاملين لنتائج الخطيئة الأصلية ألا وهي طبيعة الموت والفساد، وحتى العذراء أم النور قد ولدت حاملة لنتائج الخطيئة الجدية وكانت محتاجة للخلاص "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ" (رو ٣: ٢٣). فعندما تطلق الكنيسة الكاثوليكية عقيدة كهذه فهي بصور غير مباشرة تستثني العذراء من الجنس البشري وترفعها إلى منزلة الإله، إذ هو وحده قد جبل به بلا دنس وكان بلا خطيئة!.

وأيضاً هناك صفات عدة منحتها الكثلثكة للعذراء ترفعها إلى قدر المساواة بالله!



وسأتناول بعضها، فقد أدخلت العذراء بالغفرانات فأصبح بإمكان الفرد أن يحصل على عدد غفرانات معينة فقط من خلال تلاوة صلوات معينة للعذراء، كالقول "يا قلب مريم الحلو، كن خلاصي" فتمنح غفران ٣٠٠ يوم! أو من خلال المواظبة على الكنيسة والإحتفال بالشهر المريمي فتنال الغفران أيضاً. وبالحقيقة لا أفهم كيف يسوغ للبابوات منح هذه الغفرانات من خلال تلاوات معينة والكتاب يعلمنا بأننا لا ننال الغفران إلا من خلال التوبة "فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِيُثْمَحِيَ خَطَايَاكُمْ" (أع ٣: ١٩) وأيضاً "إِنْ لَمْ تُتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ" (لو ١٣: ١٣). والأمثلة على هذا كثيرة.

وفي بعض الترجمات اللاتينية للكتاب المقدس استبدلت بعض النبوات التي تتحدث جهاراً عن الرب يسوع إلى التنبؤ عن العذراء مريم. فقد جاء في سفر التكوين ١٥: ٣ "وَأَصْعَ عَدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ". وهنا نرى الوعد الخلاصي الذي قطعه الله، إذ قال للشيطان أن نسل المرأة (المسيح) سيسحق رأسك. وقد وردت هذه الآية في النسخة العبرانية "هو يسحق رأسك" وكذلك في الترجمة السبعينية اليونانية، وبمقتضى هاتين النسختين يرجع الضمير إلى المسيح الذي سيسحق رأس الحية بموته على

الصليب. ولكن في الترجمة اللاتينية (الفولجاتا) نرى بأن المعنى مغاير فقد وردت "هي تسحق رأسك" أي العذراء ستسحق رأس الحية!! ووقع أيضاً هذا الاختلاف في النسخ اللاتينية القديمة فمنها كتبت هو ومنها كتبت هي! (٣٨) وأصبح التفسير المرمي للترجمة اللاتينية "هي تسحق" تقليداً في الكنيسة الكاثوليكية، وأصبحت العذراء تصوّر في الأيقونات والتماثيل اللاتينية وهي تسحق رأس الحية كما هو موضح في الصور التالية:



وقد تكلم في هذا الكثير من الآباء الكاثوليك ومنهم:

القديس فنسنت فيرير الكاثوليكي إذ قال: "إن مريم العظيمة والقوية قد غلبت الشيطان وسحقت رأسه بإخضاع كبريائه، كما قال الرب (هي تسحق رأسه) ولكن البعض قد ارتابوا في هذا واختلفوا في ما إذا كانت النبوة هذه تعود على مريم أو يسوع، لأنه قد جاء في الترجمة السبعينية (هو يسحق رأسك)، لكن في ترجمة الفولجاتا التي نمتلكها والتي تعتبر الترجمة الوحيدة المعتمدة بحسب مجمع ترنت، قد وردت هي وليس هو".

(٣٨) راجع حواش سفر التكوين ١٥:٣ في الكتاب المقدس الترجمة الكاثوليكية اليسوعية.

ويقول القديس برونو الكاثوليكي: "إنَّ حواء بخضوعها للحية قد جلبت علينا الموت والظلمة، أمّا العذراء المباركة فتغلبها على الشيطان جلبت لنا الحياة والنور، وقد قيدته لدرجة أنه لا يستطيع أن يؤذي ولو قليلاً الذين يخدمونها" (٣٩)

وهذا غيض من فيض في ما قيل بهذه الآية عند آباء الكثر. بينما يعلم الكتاب المقدس أن المسيح هو من غلب الشيطان وقيدته، فعن إبادة الشيطان يقول الكتاب "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ" (عب ٢: ١٤). وعن تقييد الشيطان يقول الكتاب "وَرَأَيْتُ مَلَكَ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ مِفْتَاحُ الْهَآوِيَةِ، وَسِلْسَلَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى يَدِهِ. فَقَبَضَ عَلَى الثَّنِينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ، وَقَبَضَهُ أَلْفَ سَنَةٍ، وَطَرَحَهُ فِي الْهَآوِيَةِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ". هذا الملاك الذي نزل من السماء وله مفتاح الهاوية قادر أن يربط الشيطان ويقيده هو رمز لملاك العهد الرب يسوع الذي قال ليوحنا الحبيب "لِي مَفَاتِيحُ الْهَآوِيَةِ وَالْمَوْتِ" (رؤ ١: ١٨). فالرب يسوع المسيح هو الذي نزل من السماء وسَمَّرَ على الصليب من أجل البشر حتى يمزق صك الخطيئة وبالتالي لا يكون لإبليس مكان أو حق فيهم وبهذا يقدر المؤمن أن يدوس على إبليس وقوته "يُطْرَحُ رَئِيسُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجًا" (يو ٣: ١٢). وأيضاً "إِذْ حَمَّا الصَّكِّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَاثِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسْطِ مُسَمَّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ، إِذْ جَرَّدَ الرِّيَّاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ أَشْهُرَهُمْ جَهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ (أي في الصليب)" (كو ٢: ١٤-١٥). إذ لا يجوز نسب سحق الشيطان وتقييده لأحد غير الرب يسوع المسيح الذي له السلطان وحده لسحق عدو الخير إذ بموته قد غلب الذي له سلطان الموت.

ومن تعليم آباء الكثر أيضاً ما قاله القديس بوناftنورا الكاثوليكي: "هكذا أحبت مريم العالم حتى إنها بذلت ابنها الوحيد من أجلهم". بينما يقول الكتاب المقدس "لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يو ٣: ١٦).

ويقول القديس أنسلموس الكاثوليكي: "إن الله استطاع أن يخلق العالم من العدم لكن عندما هلك العالم ضائعاً بالخطيئة رفض الرب أن يكمل إصلاح العالم وخلاصه من دون أن تكون مريم مشاركة في هذا العمل". ولكن الله لم يرفض أن يصلح العالم أو يخلصه من دون العذراء، وإنما انتظر أن يأتي ملء الزمان ليتجسد "وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنْ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ" (غل ٤: ٤).

ويقول القديس بيرنارد الكاثوليكي: أن شفاعاة العذراء ضرورية لخلاصنا، ونؤكد أن هذه الضرورة تنبع من مشيئة الله نفسه، الذي جعل كل مراحمه واستحساناته توزع من خلال يدي مريم. (٤٠)

ويسمى القديس بونافنتورا الكاثوليكي مريم "الخلاص للذين يتضرعون إليها". ويقول إن الكنيسة تحثنا على التوسل لمريم، وأن نردّد لها دوماً طالبين أن تنقذنا. وأن باب الخلاص لا يفتح لأحد إلا من خلالها (أي من خلال العذراء). (٤١)

ولي تعقيب على هذا القول، فلا أحد ينكر بأن أم النور مريم كانت وسيلة للخلاص إذ أن الرب تجسّد وأخذ طبيعة بشرية منها ودخل إلى العالم من أحشائها. وأيضاً لا ننكر شفاعتها وصلواتها هي وكافة القديسين من أجل الساكنين على الأرض. ولكن أن تكون هي المخلصة للجنس البشري أو شريكة الفداء أو أن باب الخلاص لا يفتح لأحد إلا من خلالها كما يدعي الكاثوليك فهذا كلام صعب وغير مقبول. إذ يقول الكتاب عن السيد المسيح: "وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَّاصُ. لِأَنَّ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أع ٤: ١٢).

وأيضاً من تعاليم الكاثوليك أن الله قد وضع جميع النعم في يد مريم العذراء وهي توزعها على من تشاء! وحتى أنه في القرون الوسطى قد عبدها الناس عبادة صريحة وهذه إحدى

The Glories of Mary, page 170 (٤٠)

The Glories of Mary, page 189 (٤١)

الصلوات التي كانت تتلى للعدراء في العصور الوسطى "تعبّدك كل الأرض يا خطيئة الآب الأبدى، تعظمي علينا يا مريم الحلوة وأحفظينا من الآن وإلى الأبد دون خطيئة." (٤٢)

وبعد كل ما ورد رأينا بوضوح كيف بالغت الكنيسة الكاثوليكية في تعظيم العدراء ووضعها في كثير من الأمور مكان المسيح، فقد أدخلت في الغفرانات والخلاص والرحمة وأصبحت الموزعة الوحيدة للبركات والنعم والملجأ الوحيد للمؤمنين وفي بعض الأوقات قدّمت لها عبادة صريحة. ولي سؤال هنا، فإن كانت العدراء تفعل كل هذا، فما الذي يفعله المسيح وما الذي تبقى له؟ أعتقد لا شيء.

وأنا شخصياً أرى بأن السبب خلف هذا التعظيم وحلول العدراء محل المسيح هو ما حلّ بالناس بسبب التعليم حول طبيعة المسيح وشخصه ومركزه في الثالوث الأقدس، وبسبب وحدته مع الآب في الجوهر والمجد، فقد ترك هذا في حواشيه تخوف الناس من الإقتراب من مخلصنا، والبحث عن شخصية وسطى تقرّبهم إليه، وقد وجدوا هذه الشخصية في شخص أمّه العدراء المباركة. هذا هو منشأ التعظيم المبالغ فيه لها. وكأنما يقول لها الناس: "تكلّمي أنت مَعَنَا فَنَسْمَع. وَلَا



يَتَكَلَّمُ مَعَنَا الْمَسِيحُ لِئَلَّا نَمُوتَ". كما قالها الشعب قديماً لموسى (خر ١٩: ٢٠). وهكذا سارت الكنيسة الكاثوليكية في طريقها حتى حلّت العدراء مكان المسيح في كل شيء تقريباً وأحس الناس بحاجتهم إلى القول "أَخْذُوا السَّيِّدَ وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ" وهكذا صوّرت للناس مخلصهم في صورة القُدّوس المهرب البعيد المتعالي الذي هو نار آكلة، وصوّرت أمه في صورة المتدانية القريبة العطوف الحنون، فأصبح المسيح هو ملك الحق والعدل والعدراء هي ملكة الرحمة

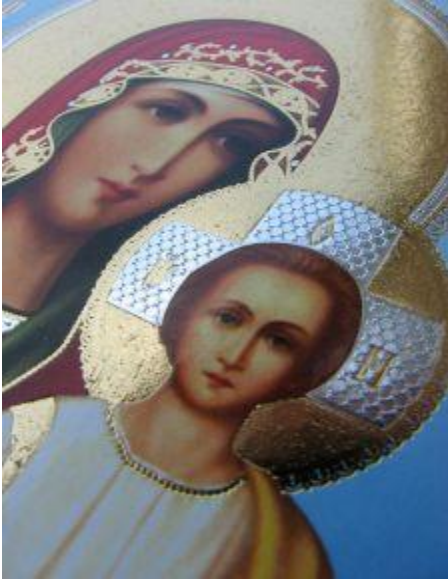
(٤٢) إرسالية مار نرساي الكلدانية الكاثوليكية

والعطف، هي ترحم وهو يقاوص. فأصبحت هي الوسيطة بين المسيح الإله والبشرية تصل بينهم وبينه.

هذا ملّخص لما يعتقد الكاثوليك في العذراء وهناك الكثير غير ذلك، فالعذراء في تعليمهم هي سيدة المطهر وأنها تتحصّل على زوائد فضائل القديسين لتوزعها على من تشاء من المعذبين في المطهر ... إلخ. وقد سبق شرح ذلك ولن أضيف المزيد في هذا المجال فيكفي ما ذكر.

٧ التقليل غير اللائق:

بالنسبة للنظرية الثانية، فأنسبها إلى الكنائس البروتستانتية، التي قد أهملت أكرام العذراء وتطويها، بل وانكرت أي مِيزة لها عن باقي البشر، وإن أردت أن أطرح وجهة النظر البروتستانتية عن العذراء مريم، فأستطيع اختصار ذلك كله بعبارة واحدة فقط "نحن نرفض كل ما يعتقد الكاثوليك اتجاه العذراء".



فالفكر البروتستانتي ابتداءً كرد فعل للفكر الكاثوليكي، وهذا ما فعله مارتن لوتر المؤسس الأول للكنيسة البروتستانتية. عندما هاجم البابا وتعاليمه وانقلب على الكنيسة الكاثوليكية وعلى عقائدها بما فيها الأمور المختصة بالعذراء مريم بعد أن كان راهباً كاثوليكياً، ولأن هذا ليس موضوعنا وانشقاق الكنائس لا يعنينا في هذا البحث. فنبقى حول نقطة الحوار ألا وهي العذراء مريم.

فقد تطرّقت في هذا الكتاب لنظرة البروتستانت للعدراء^(٤٣)، والرد اللاهوتي على تعاليمهم. ولن أعيد ما قد دونته سابقاً إذ لا مجال لتكرار ما قد سبق شرحه، لكن أود إبراز التضاد ما بين الفكر البروتستانتي والفكر الكاثوليكي في ما يختص بالعدراء القديسة من خلال هذا الجدول:

العدراء في الفكر الكاثوليكي	العدراء في الفكر البروتستانتي
أم الإله	أم يسوع
تصلي من أجلنا وتشفع فينا	لا تصلي من أجلنا ولا تشفع فينا
دائمة البتولية	فقدت بتوليبتها
لم تنجب سوى يسوع	أنجبت أبناء وبنات هم "أخوة يسوع"
صعدت إلى السماء بالنفس والجسد	لم تصعد إلى السماء وبقيت ميّنة
ملكة السماء	ليست ملكة
ممتلئة من النعمة	مُنعم عليها
شريكة في الفداء	ليست شريكة في الفداء
حبل بها دنس	حبل بها بدنس
إقامة أعياد لها	لا أعياد لها
لها أيقونات وتماثيل	لا أيقونات ولا تماثيل لها

وتعتبر هذه أبرز الخلافات بين الكاثوليك والبروتستانت بنظرة كليهما للعدراء، فكثير من اللاهوتيين البروتستانت قد جحدوا كل تعليم الكاثوليك عن العدراء بل وأقروا أن الكنيسة

(٤٣) راجع في هذا الكتاب "العدراء في الفكر البروتستانتي" والردود على تعاليمهم في "العدراء في اللاهوت العقائدي".

الكاثوليكية مبتدعة، فيقول اللاهوتي كارل بارث *Karl Barth* "إن بدعة الكنيسة الكاثوليكية هي في عقائدها المريمية *mariology*"^(٤٤).

وكوني قد عرضت آراء الآباء الكاثوليك حول العذراء فإنه من المنصف أيضاً أن أعرض آراء المؤسسين والمفكرين البروتستانت بما يخص العذراء وهل كانوا ينادون بما ينادي به أتباعهم اليوم؟ ولنرى ماذا قالوا في تعاليمهم المريمية بخصوص العقائد التي يرفضها عامة البروتستانت اليوم.

● لقب والدة الإله.

لقد تطرقت لهذا الموضوع سابقاً ولكن سأطرح آراء مؤسسي حركة الإصلاح في تسمية العذراء "بوالدة الإله" وماذا قالوا في ذلك:

مارتن لوثر:

يقول مارتن لوثر: "نحن نعرف جيداً جداً أن الله لم يستمد ألوهيته من مريم، ولكن هذا لا يعني أنه من الخطأ أن نقول أن الله ولد من مريم، وأن الله ابن مريم، ومريم هي أم الله"^(٤٥). وكانت إحدى أعظم عظات مارتن لوثر هي "مريم والدة الإله". وقد قال أيضاً: "هي في الحقيقة لم تدعى فقط أم الإنسان، ولكن أيضاً أم الإله... ومن المؤكد أن مريم هي أم الإله الحقيقي"^(٤٦).

حتى أن "الإتحاد اللوثيري العالمي" قد قبل بتعاليم مجمع أفسس والمجامع المسكونية الأخرى، بما في ذلك صياغة "والدة الإله" كإعلان صريح عن الإتحاد الأقنومي في المسيح^(٤٧).

(٤٤) Barth, *Kirchliche Dogmatik*, I, 2, 157

(٤٥) Martin Luther (2007). Theodore G. Tappert. ed. *Selected Writings of Martin Luther*. Fortress Press. pp. 291. ISBN 0800662261

(٤٦) Martin Luther, Weimar edition of *Martin Luther's Works*, English translation edited by J. Pelikan [Concordia: St. Louis], volume 24, 107.

(٤٧) 7th Plenary of the Lutheran-Orthodox Joint Commission.

جون كالفن:

لم يختلف رأيه عن لوثر إذ قال: "إن أليصابات قد دعت مريم بأمر الرب، بسبب وحدة شخص (أقنوم) المسيح بطبيعتين، لذلك كان بإمكانها القول بأن الإنسان البشري الذي ولد من رحم مريم كان في الوقت ذاته هو الله الأبدي" (٤٨).



أولريش زوينغلي:

قد وافق كلاً من لوثر وكالفن في أقوالهم وقال: "أنا أقدر والدة الإله كثيراً، الدائمة الطهارة، النقية العذراء مريم" (٤٩). وهذا مختصر لآراء المصلحين في عبارة "والدة الإله" وإيمانهم المطلق بها.

● بتولية العذراء الدائمة:

نعود لنرى رأي المصلحين وماذا قالوا في بتولية العذراء الدائمة، وهل أنكروها كما ينكرها غالبية البروتستانت اليوم.

مارتن لوثر:

قد اعتبر لوثر لطيلة حياته أن بتولية مريم هي موضوع إيمان لكافة المسيحيين، وقد فسّر (غلا ٤: ٤) بأن المسيح كان "مَوْلُوداً مِنْ امْرَأَةٍ" وحده. وأضاف "إنه فعل إيمان أنّ مريم هي أم الرب، ولا تزال عذراء" (٥٠).

جون كالفن:

قد قال فيما يخص دوام بتولية العذراء: "جرب البعض القول أن ما ورد في (مت ١: ٢٥) يعني أن مريم أنجبت أولاداً آخرين، وأن يوسف قد عرفها بعد ولادة يسوع، ما هذا الجنون؟

(٤٨) John Calvin, *Calvini Opera* [Braunshweig-Berlin, 1863-1900], Volume 45, 35.

(٤٩) E. Stakemeier, *De Mariologia et Oecumenismo*, K. Balic, ed., (Rome, 1962), 456.

(٥٠) Martin Luther, *op. cit.*, Volume 11, 319-320.

فكاتب الإنجيل لم يكن يتكلّم عمّا حصل بعد ولادة يسوع، إنّما أراد التشديد على طاعة يوسف، وأن يُظهر أن يوسف كان متأكداً أن الله أرسل ملاكه الى مريم، لهذا لم يُساكن مريم بعدها ولا عرفها يوماً. وإن كان ربّنا قد دُعي "البكر"، ليس لأنّ كان له إخوة آخرين، إنّما لأنّ الإنجيلي كان يتكلّم على حق البكورية. هكذا يسمّيها العهد القديم حتى لو لم يكن للبكر أخاً أصغر منه".

وأضاف "إن هلفيديوس أظهر نفسه بأنه جاهل جداً حين قال بأن مريم أنجبت عدّة أبناء، وذلك بسبب ما أشير إليه بعبارة أخوة المسيح"^(٥١). وقد فسّر كالفن لفظ "الأخوة" بأنهم أبناء عم *cousins* أو أقارب ليسوع.

أولريش زوينغلي:

فقد قال: "أؤمن بثبات أن مريم، بحسب الإنجيل، أعطت الولادة لابن الله من أجلنا وبقيت بتول طاهرة في الولادة وفي ما بعد الولادة بقيت دوماً عذراء طاهرة كاملة"^(٥٢). وقد استخدم زوينغلي في الدفاع عن دوام بتولية مريم ما جاء في (خر ٢٢: ٤) حول أن الله قد دعى إسرائيل بابنه البكر، رغم أنه لم يكن له شعب آخر سواه، وكذلك يسوع كان الابن البكر لمريم، لأنه الأول وليس لأن له أخوة. وأستشهد أيضاً في ما جاء ب(حز ٢: ٤٤) عن الباب الذي في المشرق والذي دخله الرب ولم يدخله آخر وبقي مغلقاً، وهو إشارة لأحشاء العذراء.

• إكرام العذراء مريم:

قد أكرم مؤسسي حركة الإصلاح العذراء مريم كثيراً في كتاباتهم وكانوا يتفقون مع الكنائس الرسولية في العقائد الأساسية حول العذراء مريم ككونها والدة الإله ودائمة البتولية كما أوضحنا سابقاً، وهذا ما قالوه في إكرامها

(٥١) Bernard Leeming, "Protestants and Our Lady", Marian Library Studies,

January 1967, p.9.

(٥٢) Ulrich Zwingli, Zwingli Opera, Corpus Reformatorum, Volume 1, 424.

مارتن لوثر:

على الرغم من انتقاداته المتواصلة للتقليد القائل بوساطة العذراء وشفاعتها، إلا أنه وحتى نهاية حياته كان لوثر يعلن بأن مريم يجب أن تكرم. وأضاف: "إن تبجيل مريم منصوص عليه في أعماق قلب الإنسان" (٥٣).

وقال أيضاً: "مريم هي تجسيد لنعمة الله غير المستحقة". فبالنسبة إلى لوثر كانت مريم مهمة لسببين أساسيين:

أولاً: كانت هي الشخص والمكان الذي اختاره الله لحلول شكينه (٥٤) مجده في صلب المسيرة الإنسانية. فلهذا اختار هذا الإناء ليحلّ فيه مجده، "لأنّ القُدُّوسُ المَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ" أي أنّ هذه الأحشاء لم تحمل مولوداً إعتيادياً لكنها حملت القدوس الإلهي كما نراه في وجه يسوع المسيح، ولهذا قال يوحنا في ما بعد في مطلع إنجيله "وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا"، هذا المجد تجسّد من خلال أحشاء امرأة إسمها مريم.

ثانياً: كان مبدأ "لوثر" والإصلاح أن "البار بالإيمان يحيا"، فبالنسبة إلى "لوثر" كانت مريم من سمعت كلمة الله واستجابت لها بالإيمان، وبالتالي تبرّزت بالإيمان وحده، فمريم تلميذة قبل أن تكون أمّاً، ولو أنّها لم تؤمن لما حبلت بالمسيح، وبالتالي هذا الإيمان ناتج عن هبة النعمة.

(٥٣) *Martin Luther, Weimar edition of Martin Luther's Works*

(٥٤) كلمة شكينه في العبرية هي؛ "שכינה - Shekinah"، وتعني "سكن"، وتشير إلى لمعان أو مجد محضر الله الساكن في وسط شعبه. وقد استخدمها الترجوم ومعلمو اليهود في الإشارة إلى الله نفسه، لأنهم كانوا لا يستسيغون أن ينسبوا لله صورة أو عاطفة. ومضمون هذه الكلمة يشيع في كلا العهدين القديم والجديد، فهي تتضمن معنى سكنى الله في وسط شعبه (خر ٢٥: ٨، ٢٩: ٤٥ و٤٦)، ففي هذه العبارات وأمثالها تترد كلمة "أسكن" التي منها جاءت كلمة "شكينه".

وفي أحد عظاته في فيتنبرغ في يناير ١٥٤٦ قد أدلى لوثر بهذا البيان وقال: "هل المسيح وحده فقط من يجب أن نحبه جداً؟ أم أيضاً أم الله يجب أن تكرم؟ هذه المرأة التي سحقت رأس الحية"^(٥٥).

ومن خلال قول لوثر بأن العذراء هي من سحقت رأس الحية يتبين لنا بوضوح تأثير الفكر الكاثوليكي عليه، فقد كان لوثر راهباً أوغسطينياً والترجمة الوحيدة المعتمدة للكتاب المقدس لدى الكاثوليك هي ترجمة الفولجاتا وذلك بحسب مجمع ترنت، وقد جاء في هذه الترجمة في تكوين ٣: ١٥ "هي تسحق رأسك" أي العذراء وليس "هو يسحق رأسك" أي المسيح كما جاء في الأصل العبري وفي الترجمة السبعينية اليونانية.

جون كالفن:

قال في إكرام العذراء: "فإنه لا يمكن إنكار أن الله في اختياره لمريم لتكون أم ابنه، أنه قد منحها الشرف الأعلى والأرفع"^(٥٦).

وقال أيضاً: "وحتى يومنا هذا لا نستطيع التمتع بالنعمة الممنوحة لنا بالمسيح بدون التفكير في الوقت نفسه بالشرف العظيم والكرامة التي منحها الله لمريم، بأن جعلها مستعدة لأن تكون أم ابنه الوحيد"^(٥٧).

أولريش زوينغلي:

قد قال: "لقد تم منحها (أي العذراء) ما لم يمنح لمخلوق آخر، بأنها وبحسب الجسد قد أنجبت ابن الله"^(٥٨).

(٥٥) Martin Luther, Weimar edition of *Martin Luther's Works*, English translation edited by J. Pelikan [Concordia: St. Louis], Volume 51, 128-129.

(٥٦) John Calvin, *Calvini Opera* [Braunschweig-Berlin, 1863-1900], Volume 45, 348.

(٥٧) John Calvin, *A Harmony of Matthew, Mark and Luke* (St. Andrew's Press, Edinburgh, 1972), p.32.

(٥٨) Ulrich Zwingli, *In Evang. Luc., Opera Completa* [Zurich, 1828-42], Volume 6, I, 639

وأضاف: "إن المسيح قد ولد من أظهر عذراء غير دنسة". وأضاف "قد كان من المناسب أن مثل هذا الإبن المقدس أن يكون من أم مقدّسة"^(٥٩).

وقد قال أيضاً: "كلّما ازدادت كرامة ومجد المسيح بين الناس، فإن تقدير وتكريم مريم يزداد غمواً أيضاً"^(٦٠).

وهناك الكثير من اللاهوتيين البروتستانت المعاصرين الذين تحدّثوا عن إكرام العذراء ومنهم:

ستيوارت والش:



فقد ذكر في كتابه "مريم ملكة بيت داود وأم المسيح"، حيث دعا إلى موقف إنجيلي صحيح لإكرام مريم العذراء. وكتب يقول: "إن صديقاً للإبن الإلهي لن يخلعه عن عرشه إن أكرمها صراحةً، تماماً كما فعل هو. كانت تلهج به حين رمت: "تُعْظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللّهِ مُخَلِّصِي" أيسطيع أحد أن يكرمه بالحق بينما يتجاهل المرأة التي ولدته في الجسد؟ أيسطيع أحد أن يكرمها بحق بينما لا يملّك على حياته من ملّكته هي؟ حملته ثم عاشت له. في حملها له كرامة، كما كان في كونها أمه ومعلّمه وتلميذه. أكرمها، فعبده".

كارل بارث:

قال: "إنّ المسيح صنع فداءً خارجاً عنّا ومن دوننا، بل أيضاً ضدّنا (أي غصباً عنّا)، لذا فعندما نمتدح مريم ونحبّها فنحن بالحقيقة نسبّح الله على صنيع نعمته من خلال مريم، أمة الرب المختارة".

ibid (٥٩)

Ulrich Zwingli, *Zwingli Opera, Corpus Reformatorum*, Volume 1, 427-428. (٦٠)

واليوم ربما نتساءل لماذا آراء الأصوليون من الإصلاحيين حول العذراء مريم لم تبقى موجودة في تعاليم أتباعهم؟ فالإنقطاع عن الماضي لم يأتي من خلال اكتشافات جديدة أو رؤية، فالإصلاحيون أنفسهم قد نظروا بنظرة إيجابية إتجاه المعتقدات المريمية، بالرغم من رفضهم شفاعتها بسبب رفضهم لكل أشكال الشفاعة والوساطة البشرية، في حين كانت هناك بعض التجاوزات في توقير الشعب للعذراء، فالتعليم المريمي قد نشأ في عصر ما قبل الإصلاح، وكانت مصادر هذا التعليم شواهد الكتاب المقدس والخرستولوجيا (التعليم الخاص بالمسيح).

ولكن السبب الحقيقي لانفصال البروتستانت عن الماضي يعزى إلى التمرد العاطفي (التطرف) لأتباع حركة الإصلاح والنتائج المترتبة على بعض مبادئ الإصلاح كرد فعل لتطرف الكاثوليك في المغالاة في إكرام العذراء.

وللأسف فإن التعاليم والعظات التي قيلت في مريم من قبل الإصلاحيين الأوائل قد تم تغطيتها "*Covered up*" من قبل معظم المتحمسين من أتباعهم بالإضافة إلى ادخال بعض التعاليم التي شوهت صورة العذراء مريم (كفقدانها بتوليبتها، انكار لقب والدة الإله عليها، و انجابها أولاد غير يسوع،... إلخ).

٧ الإكرام الفائق:

أمّا بخصوص النظرية الثالثة فأنا أنسبها للكنيسة الأرثوذكسية، التي تكرم أم النور بصورة فائقة، دون مبالغة أو اقلال من شأنها، فالكنيسة تؤمن في كون العذراء أظهر وأقدس إنسانة عاشت على الأرض ولكن بالوقت عينه هي مولودة وارثة لنتائج الخطيئة ومحتاجة للخلاص، فالكنيسة لا تؤمن "بالجل بلا دنس" لأن العذراء قد جبل بها بطريقة عادية كسائر البشرية. وتؤمن الكنيسة بشافعتها لأنها تصلي لأجلنا ولكن الكنيسة بالوقت عينه تصلي لأجلها عندما تقدم الذبيحة الإلهية غير الدموية لأنها أولاً وآخرأ تبقى عضو في جسد المسيح، وكذلك تؤمن الكنيسة بأن العذراء وسيلة للفداء إذ أن الله تجسد ودخل إلى العالم من أحشائها ولكنها ليست

شريكة الفداء، كما تؤمن بكونها والدة الإله لأنها ولدت الله المتجسد، وهي الممتلئة من النعمة لأن الله أنعم عليها، كما تصوورها الكنيسة في أيقونات تكريمها جداً.

وتؤمن الكنيسة بدوام بتولية العذراء وأنها كانت عذراء قبل وأثناء الحمل بالرب يسوع وبعد ولادته ظلّت عذراء، كما يؤمن الأرثوذكس أنه بعد موت العذراء قد أضعدها الرب يسوع المسيح إليه بالنفس والجسد كتقليد أبوي إيماني وليس كعقيدة.

كما تؤمن الكنيسة بأن العذراء قد ارتفعت فوق الرتب الملائكية لتجسد الإله منها، فتقول فيها بالقداس الإلهي "يا من هي أكرم من الشيروبيم وأرفع مجدداً بغير قياس من السيرافيم" ويضاف في تكريمها "يا من هي بغير فساد ولدت كلمة الله، حقاً إنك والدة الإله إيتاك نعظم".

وترى الكنيسة العذراء "كملكة قائمة عن يمين الملك" (مز ٤٥: ٩) للدالة التي لها عند الله ولأنها أم ملك الملوك، ففي وقوفها هي غير مساوية للإبن الجالس عن يمين الآب، وفي كونها ملكة فيقول القديس أنثاسيوس الرسول حامي الإيمان: "كون أن المسيح ملك فيجب أن تكون أمّه ملكة".

وتستشهد الكنيسة أيضاً في هذا ما جاء في (١ مل ٢: ١٨-٢٠) "فَقَالَتْ بَشْشَعُ: «حَسَنًا. أَنَا أَتَكَلَّمُ عَنْكَ إِلَى الْمَلِكِ». فَدَخَلَتْ بَشْشَعُ إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ لِتُكَلِّمَهُ عَنْ أَدُونِيَا. فَقَامَ الْمَلِكُ لِلِقَائِهَا وَسَجَدَ لَهَا وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَوَضَعَ كُرْسِيًّا لَأُمِّ الْمَلِكِ فَجَلَسَتْ عَنْ يَمِينِهِ. وَقَالَتْ: «إِنَّمَا أَسْأَلُكَ سُؤلاً وَاحِداً صَغِيراً. لَا تُرَدِّنِي». فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: «اسْأَلِي يَا أُمِّي، لِأَنِّي لَا أَرُدُّكَ»".

فإذا كان هذا إكرام الملك الأرضي لأمه فماذا يكون إكرام الملك السماوي ملك الملوك ورب الأرباب لأمه العذراء مريم؟!.

فالكنيسة الأرثوذكسية ترفض تأليه العذراء أو إيصالها لمنزلة الرب يسوع المسيح كما ترفض التقليل من شأنها وانكار قيمتها وقداستها واعتبارها امرأة عادية ليست لها ميّزة عن سائر الناس كما يدّعي البعض!.



فقد اتّبعَت الكنيسة ما ورد في الكتاب المقدس "أَسْلُكُ الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ، لَا أَمِيلُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا" (تث ٢٧: ٢). فالكنيسة ليست مع تأليهها ولا مع الإقلال من شأنها، بل تكرمها بما يرضي الرب وبحسب ما تستحق. وتقيم الكنيسة أعياداً للعدراء قد سبق شرحها في هذا الكتاب.

وهذه صورة مختصرة حاولت إبرازها من خلال هذه النظريات الثلاثة لاستبيان التعاليم المختصة بالعدراء لدى كافة الطوائف المسيحية، وأتمنى أن أكون قد وفّقت بنعمة الرب في إبراز هذه الخلافات ومناقشتها بحسب منظور الكتاب المقدس وآباء القرون الأولى والإيمان المسلّم مرّة للقديسين.

{صلاة}

وهدي من كل ما ورد أن نكون كلنا كمسيحيين رعية واحدة لراع واحد كما قال يسوع في مناجاته مع الآب السماوي "مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ. لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي لَأَنْتَهُمْ لَكَ. وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا مُمَجِّدٌ فِيهِمْ. وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الْآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ" (يو ١٧: ٩-١١).

فكم هي غالية على قلوبنا صلاتك أيها الابن الإلهي الموجود في حضن الآب منذ الأزل فلو أدركنا معنى صلاتك يا مخلصنا لفكرنا ألف مرة قبل أن نعلن إنشقاقنا عن بعضنا البعض، لأنه لو كانت محبتنا صادقة إتجاهك لسمعنا لكلامك ومكثنا حيث كنا وما سمحنا لأحد أن يزحج منارتنا، فأنت القائل: "الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي ... الَّذِي لَا يُحِبُّنِي لَا يَحْفَظُ كَلَامِي" (يو ١٤: ٢١، ٢٤). فيبدو يا رب أننا قد أحببنا ذاتنا وشهوأتنا أكثر منك لذلك أصبح حالنا لا يسر العدو قبل الصديق. فأنت قد قلت لأسقف كنيسة أفسس: "لَكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ: أَنْكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الْأُولَى. فَادْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الْأَعْمَالَ الْأُولَى، وَإِلَّا فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحِّجُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ لَمْ تَتُبْ" (رؤ ٢: ٤-٥). ولكن آه يا سيدي الرب فكثير منا قد تركوا محبتهم الأولى وأصبح صوتك في ضمائرهم خافتاً جداً حتى بات محتفياً تماماً! فلم نعد نذكر من أين سقطنا ولا عدنا لنعمل الأعمال الأولى، ولذلك قد زحزحت منارتنا وأصبحنا فرقا كثيرة لكل منا رأيه ومعتقده الخاص وكأننا نتبع ألف مسيح، رغم أننا لا نعرف إلهاً آخر سواك، فأصبحنا ننسب في كثير من الأحيان جهالتنا وإرتدادنا عنك للروح القدس فبات لكل واحد منا روح قدس خاص به، وأصبح بيننا الكثير من الإنشقاقات والخلافات ونسينا حتى ما قاله عبدك الأمين بولس الرسول: "وَلَكِنِّي أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلًا وَاحِدًا، وَلَا يَكُونَ بَيْنَكُمْ انْشِقَاقَاتٌ، بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ" (١ كو ١٠: ١).

فأصبح اليوم رأيي هو المهم ورأي الكتاب مشكك به، أنا أتكلم بالحقيقة بينما الآباء القدّيسون كانوا على خطأ، عقائدي الخاصة هي الصحيحة بينما ما جاء في المجامع المسكونية المنعقدة بالروح القدس هو غير صحيح. وكلّما زادت الأيام زاد تفرّقنا وكأننا لم نعد أعضاء في نفس الجسد الواحد، فكم نحتاجك يا رب أن تعود إلينا من جديد، أن تعود لتلتف حولك كلنا، تمسك بيميننا وتصل أيدينا ببعضها البعض حتى نشكل حلقة كبيرة ومتينة وتكون أنت في وسطها ولا نعاين غيرك يا نور العالم.

وأنا شخصياً يا سيد أقرع بعقلي السماوات رغم أنني ماكث بجسدي على الأرض لأصلي لأجل كل المسيحيين كافةً لأجل كل شخص متّ على الصليب لأجله. بأن لا يكون بعد انشقاقات بل وحدة ليس فقط بفكرنا اتجاه العذراء، بل بفكرنا ككل اتجاهك واتجاه كنيستك. أصلي لوحدة حقيقة أيها السيد الرب، وأدعوك من أقاصي الأرض، فأمل اذنك واستجب يا ضابط الكل.

وللمسيحيين كافةً أقول "مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ" (رؤ ١٧: ٢). ولك يا إلهنا الكرامة والمجد الدائم أيّها الآب الذي يسمع والإبن الذي يجمع والروح الذي يشفع. آمين.

{ الخاتمة }

لا أملك إلا أن أقول ساحيني يا أم النور لأني تجرأت أن أكتب عنك يا أم ربي وأنا انسان غير مستحق، فمن هو المستحق أن يكتب عنك يا من سموت فوق الرتب الملائكية لولادتك مخلص نفوسنا، فنحن أمامك أيتها السيدة العذراء نذوب حباً وخجلاً من أنفسنا، ونشعر بالنورانية الحلوة التي تشع من وجهك الكريم أيتها القديسة المباركة في النساء، ودائماً ننظر إلى سيرتك العطرة لنتمثل بإيمانك. فمن مثلك أيتها العذراء الممتلئة نعمة تحاورين الله في دالة متواضعة، وتسلمي حياتك له كل الأيام.

فَطُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ (لو ١: ٤٥). طوبى لمريم العظيمة التي "كَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذَا الْكَلَامِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا" (لو ٢: ١٩). طوبى لمن تكلمت بالروح القدس معلنة "فَهَؤُذَا مِنْذُ الْآنَ جَمِيعُ الْأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي" (لو ١: ٤٨). نطوبك يا ذات كل التطويب لأنك بالحقيقة ارتفعت على كل السمائيين وصرت سماءً ثانية تحمل القدوس كالشاروبيم وأبهي. يا للعجب.. الأم الأعجوبة.. الأم والعذراء.. الأم والأمة.. الملكة العبدة كيف لعقلي الصغير أن يستوعب هذه الأعجوبة. فتاة صغيرة يهودية تحمل في حضنها "يهوه" ضابط الكل، أخبريني يا أمي كيف استوعبت الخبر، وكيف احتملت أن يحل الخالق فيك ويأخذ جسداً منك؟ من تخافه الملائكة وترتعب أمامه القوات، من يقف الكهنة أمامه بكل احتشام ويتطهرون عندما يكتبون اسمه. كيف حملته أنت في بطنك وحضنك وكيف رضع من لبن ثدييك. أخبريني يا عروس المسيح الباهرة كيف كان يحبو يسوع.. ومتى تكلم.. وكيف نطق الحروف الأولى.. أخبريني عن أسرار الملك إذ أنه (شابهنا في كل شيء) وكان مثلنا "يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ، عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ" (لو ٢: ٥٢) ولكنه كان "يُنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، مُمْتَلِئًا حِكْمَةً، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ" (لو ٢: ٤٠). أرجوك يا أم النور احكي لي عن النور والبهاء الذي كان يحيط بطفلك العجيب. وأخبريني عن المجد والوقار والرزانة والنعمة المنبعثة من شخصه القدوس. فبالحقيقة طوباك يا مريم لأنك عاينت ما لم تره عين. وخبرت ما لم يختبره إنسان

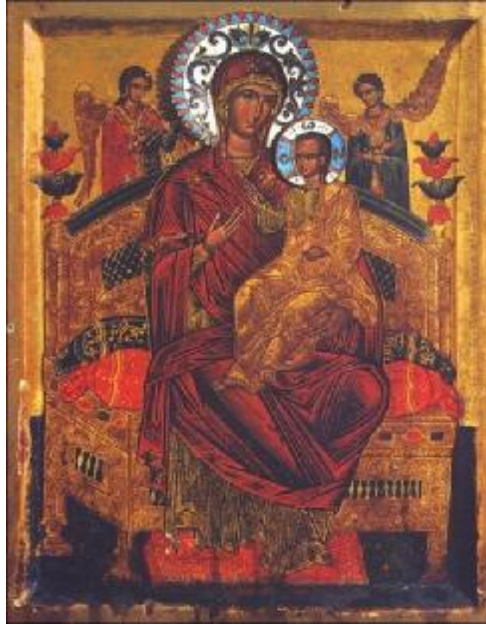
وصدّقت ما يفوق العقل. وعقلت ما يصيب بالذهول. إنني أقف من بعيد يحجيني الزمان السحيق والمكان البعيد. أقف مذهولاً من الأمر نفسه الذي استوعبته أنت وعشته. قلبي ولساني وعقلي وحواسي يتيهون. وقلمي يسبق الكلمات. ومشاعري مختلطة ولا أستطيع بالكلام أن أرّتب العبارات. لأنني مأخوذ ومشدود بسبب بهائك الكامل يا أم كل طهر واصل البتولية. العذراء عروس الله. "هَآ أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي، هَآ أَنْتِ جَمِيلَةٌ. عَيْنَاكَ حَمَامَتَانِ" (نش ١: ١٥)، "كُلُّكَ جَمِيلٌ يَا حَبِيبَتِي لَيْسَ فِيكَ عَيْبٌ" (نش ٤: ٧)، "قَدْ سَبَّيْتُ قَلْبِي يَا أُخْتِي الْعُرْسُ. قَدْ سَبَّيْتُ قَلْبِي بِإِحْدَى عَيْنَيْكَ، بِقِلَادَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عُنُقِكَ. مَا أَحْسَنَ حُبِّكَ يَا أُخْتِي الْعُرْسُ! كَمْ مَحَبَّتِكَ أَطِيبُ مِنَ الْخَمْرِ! وَكَمْ رَائِحَةُ أَذْهَانِكَ أَطِيبُ مِنْ كُلِّ الْأَطْيَابِ! شَفَتَاكَ يَا عُرْسُ تَقْطُرَانِ شَهْدًا. تَحْتَ لِسَانِكَ عَسَلٌ وَلَبَنٌ، وَرَائِحَةُ ثِيَابِكَ كَرَائِحَةُ لُبْنَانٍ. أُخْتِي الْعُرْسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ، عَيْنٌ مُغْلَقَةٌ، يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ" (نش ٤: ٩-١٢). لم تكوني يا عذراء فقط أم الإله "طُوبَى لِلْبَطْنِ الَّذِي حَمَلَكَ وَالثَّدْيَيْنِ اللَّذَيْنِ رَضِعْتَهُمَا" (لو ١١: ٢٧)، بل أنت أيضاً عروس الله وصديقه التي كانت "تَحْفَظُ جَمِيعَ كَلَامِهِ فِي قَلْبِهَا" (لو ٢: ٥١)، لذلك فقد نلت الطوبتين "فأنت أيتها القديسة مريم استحققتي التطويب من أجل إيمانك بالمسيح أكثر من كونك قد حبلت به، إن صلة أمومتك بالمسيح ليست هي فقط سبب تميّزك. الميزة الحقيقية التي لك يا مريم، هي في كونك حملت المسيح في قلبك كما في بطنك" كما قال المغبوط أغسطينوس. لقد خضعت يا عذراء للبشارة في فرح بقولك "هُوَذَا أَنَا أَمَةٌ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ" (لو ١: ٣٨). وعندما نظرت ابنك وحيدك معلّقا على صليب الآلام أصبت في قلبك بضربة موجعة سبق وأن أعلمنا بها إرميا النبي "لَتَذَرِفْ عَيْنَايَ دُمُوعًا لَيْلًا وَنَهَارًا وَلَا تَكْفَأُ، لِأَنَّ الْعُذْرَاءَ بَنَتْ شَعْبِي سَحَقَتْ سَحَقًا عَظِيمًا، بِضَرْبَةٍ مُوجِعَةٍ جَدًّا" (إر ١٤: ١٧) فقد احتملت سيوفاً كثيرة يا أمي "وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكَ سَيْفٌ، لَتُعْلَنَ أَفْكَارُ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ" (لو ٢: ٣٥). ولكنك في هذا كله كنت نموذجاً رائعاً للإحتمال والهدوء والوداعة. فقد صغت خبرتك هذه في عبارة واحدة كانت نصيحة لكل الأجيال "مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ" (يو ٢: ٥).

إن كنيسة الأرثوذكسية تكرمك أيتها السيدة الإكرام اللائق بك دون مبالغة أو إقلال من شأنك. فأنت القديسة المكرمة والدة الإله المطوّبة من السمايين والأرضيين، دائمة البتولية

العذراء كل حين، الشفيعة المؤتمنة والمعينة، السماء الثانية الجسدانية أم النور الحقيقي التي ولدت
مخلص العالم ربنا يسوع المسيح.

إن الله قد انتظر ملء الزمان ليتجسد وعندما حان ملء الزمان كنت أنت يا مريم
الإنسانة الوحيدة التي وجدها الله ورآها مستحقة لهذا الشرف العظيم "التجسد الإلهي" الشرف
الذي شرحه الملاك جبرائيل بقوله "الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكَ، فَلِذَلِكَ أَيْضًا
الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ" (لو ١: ٣٥). لهذا قال عنك الكتاب المقدس "بَنَاتٌ
كَثِيرَاتٌ عَمِلْنَ فَضْلًا، أَمَّا أَنْتِ فَقَفْتِ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا" (أم ٣١: ٢٩) .

أنت أيتها المباركة القديسة كنت في فكر الله وفي تديره منذ البدء، ففي الخلاص الذي
وعد به آدم وحواء قال "إن نسل المرأة يسحق رأس الحية" (تك ٣: ١٥) تلك المرأة هي أنت
أيتها العذراء ونسلها هو المسيح ابنك وإلهك الذي سحق رأس الحية على الصليب.



انتهى

المراجع

- (١) الكتاب المقدس.
- (٢) كتاب زاد الأرثوذكسية، للأب أنطونيوس أليفيزوبولوس.
- (٣) الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، لمجموعة من المؤلفين.
- (٤) الاقتداء بمريم، لمؤلف مجهول، نقله عن الفرنسية المطران رافائيل الكلداني.
- (٥) ميلاد العذراء مريم من سنكسار الكنيسة، نقلاً عن مجلة نور المسيح (٢٠٠٩/٩).
- (٦) رسالة البابا بيوس التاسع "الله الذي لا يدرك".
- (٧) خدمة القدّاس الإلهي، للقديس يوحنا الذهبي الفم.
- (٨) مريم العذراء وقضايا العصر، للمطران عبده خليفة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٩٦.
- (٩) "أعياد العذراء" للقس يوحنا اسكندر، مقالة بمجلة مار يوحنا، لوس أنجلوس (٢٠٠١/٨).
- (١٠) كتاب "تحقيق الأمنية في عبارة الوردية"، الغفرانات الخاصة بالوردية، ص ١٥، ٢٠، ٢٦.
- (١١) سألتني فأجبتك، لمجموعة من المؤلفين، ص ١٠٢، ٣٣٢، ٣٣٧.
- (١٢) موسوعة الخادم القبطي، الجزء الثاني لاهوت مقارن، ص ١٠٤.
- (١٣) موسوعة الآباء اليونان MG، مجلد ٩٦، عمود ٦٦٤، ٦٦٥.
- (١٤) حياة مريم أم يسوع، للأب فرنسيس قندلا اليسوعي، ص ٦٠.
- (١٥) اللاهوت المقارن الجزء الأول، للبابا شنودة الثالث، ص ٩٥-١٠٢.
- (١٦) التعليم المسيحي الأرثوذكسي، للخوري صليبا عبدالله زيدان.

- (١٧) موسوعة علم اللاهوت، للعلامة القمص ميخائيل مينا، ص ٤٥١ الكتاب الرابع، الباب الثاني (بدعة الحبل بلا دنس للقديسة مريم).
- (١٨) حول عقيدة "الحبل بلا دنس"، الأب الدكتور جورج عطية، أستاذ العقائد في جامعة البلمند سابقاً.
- (١٩) رسالة رعية حلب ودير ينبوع الحياة، دين - الأردن.
- (٢٠) كتاب "صلوات أحباء قلب يسوع"، صدر سنة ١٩٥٦م، ص ١٤.
- (٢١) من فضائل السيدة العذراء، للأنبا موسى أسقف الشباب في الكنيسة القبطية.
- (٢٢) التاريخ الكنسي، ليوسابيوس القيصري، الكتاب الثالث، الفصل ١١، ص ١١٥، والكتاب الرابع، الفصل ٢٢، ص ١٨٣.
- (٢٣) كتاب "الصلوات اليومية" الكاثوليكي.
- (٢٤) كتاب *The Glories Of Mary*، ص ١٥٦، ١٧٠، ١٨٠.
- (٢٥) *Catholic Encyclopedia*.
- (٢٦) *Ibid*.
- (٢٧) كتاب مريم العذراء، للقس تشارلي قسطه، ص ٧٩، ٨٠، ٨٥.